روايات عبير

شارلوت لامب

النصف الآخر



١٨٠

روايات عبير

النصف الآخر

يبحث الانسان طوال حياته عن نصفه الآخر. النصف المكمل للذات والحياة. وكثيراً ما يكون نصفنا الآخر قريباً نراه كل يوم ولا نعرفه.

اليكس لم يسبق له ان شعر بوجود صوفي برغم كونها موظفة في شركته. ولكن عندما أخذتها امه الى كريت لتعمل سكرتيرة لها لفتت نظره، الا ان صوفي صدته، متحصنة بحب قديم.

واكتشف اليكس بأن حبيب صوفي متزوج، وعندما التقاه مع زوجته ادعى امامها بأنه خطيب صوفي. دهشت لِلنبأ بل أحست بالتعاسة التي سببتها حبيبها سيمون. وازدادت دهشة صوفي عندما علمت بأن اليكس جاد في لعبة الزواج.

وتزوجت صوفي اليكس مقتنعة بأن قدرتها على حب مستحيلة. ومر زمن.. وزمن آخر. والتقت صوفي بالصدفة حبيبها القديم سيمون واكتشفت بأنها لا تشعر نحوه بأي شعور له معنى. وضاعت في مشاعرها الجديدة نحو نصفها الآخر

١ - دمية لوالدتي!

تحول الخريف الى شتاء حزين، وبدأت اشجار مدينة لندن تتعرى وتتحول الى اشباح شاحبة قبالة السماء المطرة، وامتلأت اغطية مجاري المدينة بالأوراق المتساقطة الشاحبة المثقلة بالماء، وقد بدت الشوارع المجاورة لمحطة شارع ليفربول مبتلة وكئيبة ومليئة بالمارة. اعداد كبيرة من سيارات الأجرة تتدفق على المحطة، والطرقات مزدحمة بالسيارات العابرة.

نظرت صوفي الى السماء القاتمة وهي تفكر في الشتاء المقبل، متحسرة على سماء زرقاء مشمسة وكأنها لم تر اشعة الشمس منذ سنوات عديدة. . . مع انه لم يمض وقت طويل على انتهاء فصل الصيف. وقفت تتنهد امام احدى وكالات السفر تتأمل صورة دعائية مزخرفة. وفجأة اشتد هطول المطر مما اضطرها الى الاسراع نحو مكان عملها في شركة ليفكاس للشحن البحري، وراحت تهرول محنية الرأس دون ان تنظر امامها. . . فقد باتت تعرف الطريق عن ظهر قلب بعد ان مضى عليها عامان في هذه الوظيفة.

مع اقتراب صوفي من باب مبنى الشركة، توقفت سيارة ليموزين بيضاء فاخرة وترجلت منها امرأة تتقي المطر بمظلة يحملها سائق يرتدي زياً غامقاً وقبعة عالية. كانت صوفي لا تزال مسرعة، وفجأة تراجع السائق قليلاً الى الوراء فاصطدمت به صوفي بشدة، وحاولت ان تستعيد توازنها بسرعة، غير ان الرصيف كان مبتلاً مما جعلها

تهوي بشدة الى الأرض.

صرخت المرأة بلهجة انكليزية ثقيلة:

ـ حسناً، ساعدها . . . ساعدها ايها الرجل.

تردد السائق لحظات قبل ان يمد يد المساعدة لصوفي التي كانت تحاول جاهدة الوقوف على قدميها، وقد لطخت الأوحال يديها وركبتيها ووجهها وتمزقت جواربها.

قال السائق وهو يحاول عبثاً تنظيف معطفها:

ـ هل انت بخير يا آنسة؟

اجابت صوفي بنظرة حانقة:

ـ شكراً، استطيع ان اتدبر امري.

لكنها كانت في الواقع مهتمة بمظلتها المرمية وسط الطريق. وفي لحظات قدمت سيارة مسرعة، فحولت المظلة الى قطع حديدية فائدة.

قالت السيدة وهي تمد مظلتها لتغطي صوفي المبللة:

ـ تعالي يا صغيرتي.

وعندما اقتربت السيدة منها، عرفتها صوفي على الفور. وبادلتها السيدة نظرة سريعة وابتسمت ثم قالت:

ـ من المؤكد انك تعملين عندنا. اليس كذلك؟ هيا بنا لنساعدك، فانت في حالة سيئة للغاية.

اخذت السيدة ليفكاس صوفي من يدها وقادتها عبر الباب الى المصعد دون ان تبدي الأخيرة اية معارضة. والتفتت السيدة الى السائق قائلة:

ـ براون، خذ معطفها الى الشقة واطلب من فيبي ان تنظفه وتكويه حالاً، وقل لها ان تعطيك بعض الجوارب ايضاً (ثم وجهت نظرة متفحصة الى صوفي لمعرفة مقاسها، وتابعت تقول) اظن ان جواربي تناسبها.

احتجت صوفي بخجل:

ـ لا داعي لذلك.

ـ ما هذا الكلام. لقد كان الحادث بسيطا. هيا اخلعي المعطف.

وحاولت صوفي ان تتكلم، لكن السيدة ليفكاس اسكتتها باشارة من اصبعها، ثم اخذت تفك ازرار المعطف وناولته الى السائق الذي توجه عائداً من حيث اتى، في حين سارت المرأتان الى مكتب مدير الشركة الواقع في الطابق الأعلى من المبنى الفخم.

وقفت موظفة الاستقبال بابتسامة واسعة عندما شاهدت السيدة ليفكاس التي خاطبتها قائلة:

ـ ارجو احضار فنجانين من القهوة الى مكتب المدير.

وفي الداخل طلبت السيدة ليفكاس من صوفي ان تدخل الحمام الانيق للاغتسال من اثار السقطة والوحول. وقد استغرقت صوفي عدة دقائق في خلع الجوارب الممزقة وغسل بقايا الوحل وتسريح شعرها الاشقر الكثيف . . . ولم تنس طبعاً ان تضع لمسات الماكياج الأخيرة، قبل ان تنضم الى السيدة المنتظرة في الخارج، والتي قالت فور مشاهدتها:

ـ تعالي الى جانبي ايتها الصغيرة.

ردت صوفي بتردد:

ـ الحقيقة انني يجب ان انزل الى مكتبي، فقد تأخرت ما فيه الكفاية.

ـ اين تعملين؟

ـ انا سكرتيرة السيد هاريسون.

في تلك اللحظة قرع الباب ودخل السائق حاملاً صندوقاً صغيراً. ابتسمت السيدة ليفكاس قائلة:

ـ هذه هي الجوارب. براون، قل للسكرتيرة في الخارج ان تخبر السيد هاريسون ان سكرتيرته موجودة عندي.

هز براون رأسه بايماءة خفيفة وترك الصندوق المليء بالجوارب الجديدة بين يدي صوفي، وغادر المكتب بهدوء. تناولت صوفي جورباً

واحداً وقالت بارتباك:
- شكراً على هذا اللطف الشديد.
ردت السيدة بلهجة آمرة:
- اذهبي وارتدي الجوارب. هل تريدين السكر والحليب مع القهوة؟
اجابت صوفي وهي تنهض الى الحمام:
- حليب بدون سكر، رجاء.
عندما عادت صوفي من الحمام، واجهتها السيدة بابتسامة عريضة كشفت عن ملامح الجمال الاصيل في وجهها رغم سنوات عمرها الطويلة. ومما لا شك فيه انها كانت جميلة جداً في شبابها... خاصة بتينك العينين الواسعتين السوداوين.
- ما اسمك؟
- صوفي بريانت.
- صوفي؟ هل تعلمين ان هذا الاسم هو احد اشهر الاسماء في اليونان... لكنهم هناك يقولون صوفيا.
ردت بأدب:
- اعرف ذلك. لقد اخذت اسم جدتي التي كانت يونانية.
ظهر الاهتمام على وجه السيدة ليفكاس التي تساءلت مبتسمة:
- وهل زرت اليونان؟
- عدة مرات (ثم التفتت الى النافذة المغطاة بقطرات المطر الغزير وقالت متابعة) اتمنى لو انني هناك الآن. ان لندن في الشتاء كئيبة للغاية.
ضحكت السيدة وهي تقول:
- وهل تتكلمين اليونانية يا صوفي؟
- بعض الشيء، عندما كنت صغيرة حاولت جدتي ان تعلمني لغتها. ومن جهتي حاولت الحفاظ على ما تعلمته منها بعد وفاتها. وهكذا اصبحت قادرة على قراءة اللغة اليونانية، لكن الكلام بها

صعب جداً.
راحت السيدة تخاطبها باليونانية متعمدة البطء الشديد:
- اي منطقة في اليونان زرت؟
- اثينا، البولبونيز، كورفو وكريت. وامل ان ازور السيكليدس في السنة المقبلة.
سألتها السيدة وهي تواصل الحديث باليونانية:
- هل ذهبت الى كريت حقاً؟
- لمدة يومين فقط.
- وهل اعجبتك؟
امتلأت عيناها حيوية وهي تجيب:
- ومن لا تعجبه تلك الجزيرة الساحرة!
- هل تعلمين انني اعيش هناك؟
اجابت صوفي ببطء:
- طبعاً، انا اعرف انك تعيشين في اليونان.
قالت السيدة ليفكاس وعيناها تتفحصان ملامح صوفي:
- هيا اشربي قهوتك يا عزيزتي قبل ان تبرد.
وبعد لحظات، مضت تقول بالانكليزية هذه المرة:
- لون شعرك غريب جداً. نحن نسميه في اليونان النار الذهبية، اي الشعر الاشقر ذو المسحة الحمراء، وهو اللون نفسه الذي كان يحبه كل من كرباسثيو وتينتوريتو (ثم اضافت فجأة) وهل تحبين الرسم؟
ردت صوفي متضاحكة:
- كنت على وشك ان ادخل مدرسة الفنون، ولكنني قررت انني لست اهلاً لها.
سألتها السيدة بحزم:
- هل انت قررت فعلاً، ام ان مدرسيك قرروا عنك؟
ردت صوفي بلا مبالاة:

- لقد الحوا علي في الذهاب، لكنني لم اهتم بذلك بالرغم من
قتناعي بمواهبي الفنية المحدودة، ولذلك درست السكرتارية كي
بحث عن عمل. خاصة وان شقيقتي الصغرى ذكية جداً ويجب ان
واصل الدراسة، لكن والدي لا يستطيع تحمل مصاريفنا معاً.

- وماذا تعمل شقيقتك الآن؟

- لا تزال في الجامعة. ان باتسي ذكية جداً، وهي ترغب في ان
صبح طبيبة.

وبعد ان انتهت من فنجانها، وضعته على الطاولة وقالت بأدب:

- شكراً لاهتمامك، والآن يجب ان اعود الى العمل.

قالت السيدة وهي تراقبها باهتمام:

- طبعاً. لكن هل فكرت بالعمل في اليونان، فانت تعرفين ان
دينا مكتباً كبيراً في اثينا؟

اجابت صوفي ضاحكة:

- انها امنية غالية. انني احب العيش في اليونان، واتمنى لو اعمل
ناك مدة سنة واحدة على الأقل.

كانت صوفي تعرف انه يحق لموظفي الشركة طلب نقلهم الى
كاتب الشركة الموزعة في عدد من عواصم العالم. وبالفعل تنقل
سم منهم في الفروع الخارجية، باستثناء السكرتيرات اللواتي لم يكن
لازمن العمل طويلاً بحيث يحق لهن طلب النقل.

سألتها السيدة ليفكاس فجأة:

- اليس لديك اية ارتباطات تلزمك بالبقاء في انكلترا؟ الا يوجد
اب وسيم في حياتك؟

حدجتها صوفي بنظرة حذرة وقالت:

- كلا (ثم نهضت وهي تتمتم بصوت غير مسموع) شكراً على
تمامك.

سألتها السيدة وهي قرب الباب:

- هل تؤمنين بالقدر يا صوفي؟

ردت بدهشة شديدة:

- لم افكر في هذا الأمر من قبل.

ضحكت السيدة ليفكاس بهدوء وقالت:

- الى اللقاء اذن يا صوفي.

ما ان وصلت صوفي الى مكتبها حتى اقترب منها مديرها المزعج
وسألها بسخرية واضحة:

- كيف حصل والتقيت بالسيدة ليفكاس؟

اخبرته صوفي معظم التفاصيل، فالتفت اليها متهكماً:

- وهل اذيت نفسك فعلاً؟

ردت باقتضاب:

- لا.

لقد كانت صوفي تكره السيد هاريسون. فهو رجل متزوج في
الاربعين من العمر، ومع ذلك فان تصرفاته صبيانية وغير معقولة.
وكم حاول ان يدعوها لمرافقته على العشاء، لكنها ابقت مسافة بينها
وبينه، ولولا انها تحب العمل في شركة ليفكاس لكانت تركتها هرباً
من تصرفاته الشاذة.

اعتقدت صوفي ان ما حدث ذلك اليوم قد انتهى الى غير رجعة.
فالسيدة لن تتصل بها مجدداً، خاصة وان جميع افراد عائلة ليفكاس
مهتمون بمتابعة اخبار امبراطوريتهم الواسعة، ولذلك فهم نادراً ما
يستقرون طويلاً في مكان واحد.

لكن اعتقادها كان خاطئاً، فبعد اسبوع واحد دخل السيد
هاريسون عليها قائلاً بسخرية واضحة:

- انت مطلوبة فوق. . . رئيس الشركة نفسه يريد رؤيتك هذه
المرة!

قالت وهي لا تصدق اذنيها:

- السيد ليفكاس نفسه؟

تابع السيد هاريسون الذي لم يقابل السيد ليفكاس الا مرات

محدودة، قائلاً بغيظ:

ـ انك تتعاملين مع مستويات عالية هذه الأيام. رغماً عني ان اصطدم بسائق السيدة الكبيرة، فهذه طريقة تبدو ناجحة للغاية.

توجهت صوفي الى الباب دون ان تعير اي اهتمام لمديرها الذي تابع قائلاً:

ـ ليفكاس يحب الشقراوات، فخذي حذرك!

في الخارج، راحت صوفي تسأل نفسها: لماذا يريد اليكس ليفكاس ان يراني؟ وما الجديد في هذه الشركة؟ لكنها لم تستطع الاجابة، اذ سرعان ما كانت امام موظفة الاستقبال التي ادخلتها الى المكتب قائلة:

ـ تفضلي انه ينتظرك.

كانت قد رأت اليكس عدة مرات من قبل، لكن من مكان بعيد، وهذه هي المرة الأولى التي تقابله وجهاً لوجه وتتحدث اليه. رفع اليكس نظره عن مجموعة من الأوراق فوق مكتبه، ثم اخذ يحدق فيها من رأسها حتى اخمص قدميها دون ان يتكلم. ولم تقف صوفي مكتوفة اليدين، بل واجهت عينيه المتفحصتين بعينين خضراوين واسعتين فيهما من التحدي والاعتزاز الشيء الكثير.

واخيراً خاطبها بلهجة انكليزية طليقة، وان كانت نبرات صوته تكشف هويته اليونانية. قال:

ـ اذن، جدتك كانت يونانية الأصل؟

ردت بشجاعة:

ـ نعم.

عاد اليكس الى احد الملفات امامه وراح يقلب اوراقه، مما اتاح الفرصة امام صوفي لتأمل ملامح وجهه وقامته. لقد كان ممشوق القوام، يرتدي قميصاً مفتوحاً عند اعلى الرقبة بحيث ظهرت عضلات عنقه وكتفيه بشكل واضح. ثم التفت اليها قائلاً:

ـ هيلينا صوفيا ارجنتو بوليس. ولدت في اول يوم من شهر ايار

(مايو) ١٩٠١ لعائلة كورنيث وتزوجت من جورج بريانت الموظف في بنك انكلترا والذي كان يقيم في اثينا عام ١٩٢٠. لها ثلاثة اولاد وتوفيت عام ١٩٧٠ بعد ان اصيبت بداء الرئة. (ودون ان يعير اي انتباه لدهشة صوفي الكبيرة تابع يقول) كما ترين، فانني اعرف كل شيء عنك يا آنسة بريانت!

ظلت صوفي تحملق فيه بعينين متسعتين من الدهشة. ما الذي يحدث هنا؟ لماذا كل هذه المعلومات، خاصة حول سكرتيرة عادية؟ لكن حيرتها لم تطل، اذ خاطبها اليكس قائلاً:

ـ والدتي تريدك ان تذهبي الى كريت للعمل معنا هناك!

كانت صوفي تتوقع كل شيء الا هذا العرض، لذلك صرخت باستغراب:

ـ انا؟ اعمل لدى والدتك؟

رمقها بنظرة خبيثة وهو يقول:

ـ تبدين مندهشة، الم تكوني على معرفة بأن هذا هو ما يدور في ذهن امي؟

هزت رأسها بالنفي وقد توهجت خصلات شعرها باللون الاحمر الناري.

لكن اليكس تابع يقول:

ـ حسناً، ماذا تقولين؟ هل ستذهبين؟

ظلت صوفي حائرة في ما تقول. لا شك انه ينتظر اجابة منها، لكن الموضوع كله فاجأها واثار ارتباكها. وبعد لحظات قال بنفاد صبر:

ـ حسناً يا آنسة بريانت، هل تريدين الوظيفة؟

اجابت بتردد واضح:

ـ وهل من الضروري ان اعطيك الجواب الآن؟

ـ كان لدى والدتي انطباع بانك ترغبين في العمل في اليونان، هل كانت مخطئة في ذلك؟

اجابت صوفي بسرعة:

- لا ابداً. انني احب العمل هناك، لكن لم اكن اتوقع...

قاطعها بجفاء:

- هذا واضح. احسمي رأيك بسرعة، فليس عندي كثير من الوقت، وقد اعطيت هذه المسألة اكثر مما يجب.

احمر وجهها غضباً ورمقته بنظرة جافة وقالت:

- نعم.

وضع يديه على الطاولة وقال:

- نعم تريدين العمل، ام نعم لانك تعرفين انني مشغول جداً؟

ردت بهدوء بارد:

- نعم اريد العمل.

نظر اليها دون اية تعابير وقال:

- سأترك الأمر لباتروس كي يعطيك التفاصيل. لقد اردت ان القي نظرة عليك كي اقرر ما اذا كنت تصلحين ام لا. ان والدتي امرأة طيبة القلب، فلا تحاولي ان تستغلي ذلك... والا ستجدين نفسك في مواجهتي مباشرة.

لم يكن هناك ذرة من الشك لدى صوفي بأن اليكس يعني كل كلمة. فهو في الثلاثين من العمر تقريباً، طويل القامة، ممشوق القوام... وقادر على ادارة امبراطورية ليكاس بفعالية بالغة. وعلى عكس وجه والدته النحيل الرقيق، كانت تبدو عليه ملامح نفاد الصبر فوق شفتين قاسيتين حازمتين، في حين ان فكه البارز يظهر قوة شخصيته. قال متابعاً:

- نريدك ان تسافري الى اثينا فوراً. هل لديك جواز سفر؟

ردت بانصياع كلي:

- نعم.

- ومتى تكونين جاهزة للسفر؟

قالت بهدوء:

- ان عملي...

قاطعها بحدة:

- انسي عملك... سيحل محلك شخص آخر. كم تحتاجين من الوقت لاتمام امورك الشخصية؟

قالت وهي تفكر بالشقة التي ستتركها:

- بعض الأيام فقط.

وقف اليكس فجأة وسحب ساعة ذهبية من جيب سترته، ونظر اليها ثم قال فجأة:

- ولماذا لا يوجد رجل في حياتك؟

فوجئت صوفي بهذا السؤال، وتقلص وجهها انفعالاً وغضباً. لكنه الح وظلال ابتسامة ترتسم على وجهه:

- حسناً، لماذا؟

لم يكن عندها الرغبة في الدخول في نقاش حول هذا الموضوع، لذلك قالت:

- ليس عندي جواب لهذا السؤال.

اخترقت عيناه معالم وجهها في محاولة لقراءة ما يدور في ذهنها، ثم قال:

- اخبرتني والدتي ان شعرك كلهيب النار الذهبية، لكني اعتقد ان النار في شعرك فقط.

وقبل ان تجد صوفي الكلمات المناسبة للرد، جلس اليكس الى طاولته مجدداً وانهمك بمراجعة الأوراق امامه. ثم رفع عينيه بعد لحظات متفرساً في صوفي الواقفة وقال:

- حسناً، ماذا بعد؟

عندها فقط ادركت صوفي انه اذن لها بالانصراف، فغادرت المكتب مسرعة وهي تحس ببغض شديد تجاهه. لقد اظهر اهتماماً بها لان والدته تريدها، اما بعد ذلك فليس هناك ما يهم ابداً.

في الأيام القليلة التي تلت ذلك اللقاء، احست صوفي انها تعيش

في دوامة تدور بها من مكان الى اخر دون وعي: تحصل على المعلومات من باتروس، تنهي ارتباطاتها بالشقة والجيران، وترسل ممتلكاتها القليلة الى منزل والديها الخاص.

كانت حياتها في لندن موحشة. فقد وجدت المدينة الكبيرة مظلمة وفارغة ولم يكن لها فيها قريب او صديق او حبيب. وطيلة السنوات الخمس التي امضتها في لندن حاول الكثيرون التقرب منها، لكنها صدتهم جميعاً لان تفكيرها لم يكن يتسع لاكثر من شخص واحد محدد.

لقد فوجئت بان اليكس ليفكاس تحرى عن حياتها الشخصية بالتفصيل قبل ان يعرض عليها الوظيفة. وعندما حدثت باتروس بالأمر، اجابها وابتسامته تسفر عن اسنان ذهبية لامعة:

ـ ولماذا تستغربين ذلك؟

قالت والاستغراب لا يفارقها:

ـ لكن ماذا اراد ان يعرف عني؟ بل ماذا كان يعتقد بانه يجب ان يعرف عني؟

هز باتروس رأسه الاصلع وقال بصوت اجش:

ـ السيدة ليفكاس ثرية جداً... جداً. ان مهمة اليكس حمايتها من نفسها اولاً، ومن اي شخص يحاول ان يسرق منها اموالها الطائلة. لقد كان عندها موظفون في السابق، وعدد منهم حاولوا الاحتيال عليها. اليكس لا يترك شيئاً للصدف... ولذلك دقق في كافة تفاصيل حياتك (ثم تابع بابتسامة ذات معنى) خاصة فيما يخص الاصدقاء من الرجال. فاليكس يريد ان يعرف اي نوع من النساء انت.

تضرجت وجنتا صوفي بحمرة الخجل والغضب. ان العالم الذي ستدخل اليه صعب ومعقد. لكن ليس لاليكس الحق في التدخل في حياتها الخاصة.

وعندما نقلت افكارها هذه لباتروس، ضحك واجاب:

ـ هذا هو اليكس. وعليك بالحذر يا صوفي. انه يملك حساسية غريبة تجاه الغدر، وهو عديم الرحمة اذا ما شعر بأنه خدع. لذلك يجب ان لا تخفي اي شيء عنه.

ابتسمت صوفي دون ان تجيب. لكنها راحت تتساءل في سرها عما اذا كان قرارها بالتورط مع هذه العائلة صحيحاً؟ لم تكن تدرك انها ستقع في شباك عالم تتم كل حركة فيه وكل اشارة في جو من الرقابة الشديدة. لم تكن تخشى شيئاً من تحقيقات اليكس، اذ ليس لديها ما تخفيه. وكل هدفها من قبول هذه الوظيفة هو العمل في اليونان. وستبذل اقصى جهدها كي تنجح في مهمتها. لكن ما يضايقها فعلاً، انها من الآن فصاعداً ستكون تحت المجهر. ودائماً هناك عينا اليكس المتفحصتان القاسيتان. ولكن ما المشكلة في وجوده؟ ان حياتها كتاب مفتوح، غير ان افكارها هي ملك لها وحدها... وحتى اليكس لن يستطيع اختراق هذه الافكار. لكن الى متى؟

اكتشفت صوفي بعد ايام انها كانت محقة في قبول العرض والذهاب الى اليونان. ففي احد الفنادق الكبيرة في وسط اثينا، كانت السيدة ليفكاس بانتظارها. وفوجئت بالسيدة الكبيرة تطبع قبلة ودية على خدها وهي ترحب بها قائلة:

ـ انا سعيدة جداً لأنك قررت الحضور يا صغيرتي. فهل انت متأكدة من انك لن تملي العمل لدى امرأة عجوز في فيللا صغيرة هادئة في كريت؟

اجابت صوفي برقة:

ـ تمام التأكيد يا سيدة ليفكاس.

وتابعت السيدة اسئلتها متفحصة:

ـ الم تتركي شاباً حزيناً محطم القلب وراءك في لندن؟

هزت صوفي رأسها بالنفي والابتسامة الرقيقة لا تفارق وجهها، فتابعت السيدة تقول:

ـ ربما تتعرفين هنا على شاب يوناني وسيم وتتزوجين وتستقرين في

هذه البلاد. غير اني اتمنى ان لا يحصل هذا بسرعة، فانا اطمع في ان احوز بك هذه السنة على الاقل. واظن ان اليكس وباتروس ابلغاك اني اريد مرافقة اكثر مما اريد سكرتيرة... وان كانت هناك بعض الأعمال السكرتارية التي ستنجزينها لي.

اجابت صوفي وهي تفكر في ان باتروس وحده شرح لها طبيعة العمل:

- لقد شرحا لي كافة التفاصيل.

اضافت السيدة ليفكاس وهي تنظر الى فستان صوفي الازرق الانيق:

- يجب ان نقوم بشراء بعض الحاجيات قبل ذهابنا الى كريت. لقد طلب مني اليكس ان اشتري لك بعض الملابس. اتصل بي هاتفياً قبل ساعات ليقول لي ان دميتي الجديدة - كما اسماك - في طريقها الي. واعرب عن امله في ان اشتري لك بعض الملابس الجديدة كي لا يظن الناس انني حصلت عليك من احدى الجمعيات الخيرية.

احتقن وجه صوفي بالغضب الشديد لدى سماعها هذه العبارات، لكن السيدة المتفحصة قالت دون توقف:

- لقد ضايقك هذا الموقف اذن؟ هذا ما يعجبني فعلاً، فاليكس رجل متحكم وانا احتاج الى شخص يستطيع ان يقول له لا. جميع الموظفين في الفيلا يعرفونه منذ الصغر، وهو يحركهم كيفما يريد، بمجرد اشارة منه. ان الاشياء التي تحتاج الى جهد بالغ ينجزها اليكس بمنتهى السهولة. وهو الذي يفوز في النهاية دائماً. السكرتيرتان السابقتان وقعتا في غرامه، وبدلاً من ان تعملا لي باتتا تعملان له. اني اريد من تعتني بمصالحي وليس بمصالحه!

قالت صوفي وقد علت حمرة الخجل وجنتيها:

- لن اقع في غرام ابنك يا سيدة ليفكاس.

وبالفعل كانت صوفي تعني ذلك تماماً. فهي قد منحت قلبها لشخص آخر منذ زمن بعيد.

ردت السيدة بحزم:

- اتمنى ذلك... سأضطر للتخلي عنك كما تخليت عن اللواتي سبقنك. ويجب عليك ان تتذكري دائماً انك تعملين عندي وليس عند اليكس.

وعدتها صوفي بلهجة اكيدة:

- سأتذكر ذلك دائماً.

داعبت السيدة العجوز وجنة صوفي مسرورة، وقالت:

- كوني صلبة. انا احب ابني، ولكنه متوحش يلتهم الشركات الاخرى ويفترس كل من يقف في طريقه. لا استطيع ان اعيش مع اليكس يا صوفي... فالحياة معه كالعيش مع نمر متوحش في قفص واحد، ودائماً يتساءل متى يأتي دوره ليلتهمه هذا النمر. ستكتشفين مع الوقت ان اليكس يحاول ان يدير حياتي بالنيابة عني. ومهمتك ان تمنعيه من ذلك، وهذا ليس بالأمر الهين على الاطلاق. فمع الوقت ستشعرين انه من الاسهل لك ان تفعلي ما يريد، ولكنك لن تستطيعي ان ترضينا معاً في الوقت نفسه. وعليك منذ الآن ان تحسمي موقفك، فأنت من معسكري وليس من معسكره.

حدقت صوفي بوجه السيدة العجوز مندهشة. ولاحظت التقت نظراتها بصمت مطبق. لكن السيدة قالت متسائلة:

- يبدو عليك الاستغراب، هل ازعجك ما قلت؟

اعترفت صوفي بصراحة:

- لم اكن اتوقع ان يكون العمل بهذا التعقيد. هل يمكنني ان اعرف ما هي المشاكل؟

- مشاكل؟ ليس هناك سوى مشكلة واحدة. مع الوقت ستعرفين ما اقول. سيحضر اليكس فجأة ويطلب منك ان تخبريه بكل ما قمت به منذ آخر زيارة له. وانا اصر على ان لا تخبريه شيئاً على الاطلاق بدون اذن مني. (وعندما لاحظت ان دهشة صوفي لم تذهب، تابعت تقول) سيطلب منك جواباً. سيغضب. سيثور. سيتحول الى حل

وديع ويبتسم لك. سيستعمل رقته اذا كان ذلك سيحقق له ما يريد. ولن تخبريه اي شيء سواء استعمل الترغيب او الترهيب. والآن هل تستطيعين ان تكوني صلبة يا صوفي، وبالتالي قادرة على التعامل مع ابني؟

ردت صوفي ببساطة وصراحة:

- الحقيقة لا اعرف... غير اني اتعهد امامك بعدم اخباره عن اي شيء بدون اذنك... وهذا ما انا متأكدة منه على الاقل حتى الآن.

رنت السيدة على وجه صوفي وقد سرتها الاجابة المتزنة، وقالت:

- انك فتاة جيدة. كان عندي شعور بأنك تصلحين تماماً لهذه الوظيفة منذ اليوم الأول الذي التقيتك فيه. ومع ان شعرك فيه توهج النار، الا ان وجهك متزن بما فيه الكفاية بالنسبة لفتاة في مثل عمرك. ان غالبية الفتيات في اليونان يتزوجن قبل ان يصلن الى سن الثالثة والعشرين، ويكوّن عائلات كبيرة... وانت الا تريدين الزواج؟

ظلت تعابير صوفي جامدة وهي تقول:

- ربما في يوم من الأيام.

سألتها السيدة ليفكاس بلطف:

- عندما تقابلين الرجل المناسب؟

اكتفت صوفي بابتسامة خفيفة وهزة من الكتفين. لقد قابلت الرجل المناسب منذ سنوات، غير ان الأمور لم تكن سهلة. فالانسان لا يستطيع ان يحب بحكمة. الحب يأتي تلقائياً، ولا يستطيع الانسان ان يفعل اي شيء سوى ان يخفيه اذا كان من دون امل او مستقبل.

كانت الساعات اللاحقة مرهقة للغاية. وكما وعدت السيدة ليفكاس، ذهبت الامرأتان في رحلة تسوق طويلة انتهت، رغم اعتراض صوفي، بشراء محتويات خزانة كاملة. وكانت السيدة تقول:

- ستعيشين الآن مع الاغنياء يا صوفي، ولا اريد ان تظهر سكرتيرتي وكأن مرتبها قليل.

وبعد نهار من التعب وصلتا الى كريت. كانت صوفي تعيش في دوامة من الافكار والمشاعر المتضاربة، ولم تستطع ان ترى من نافذة السيارة سوى سلسلة من التلال المتباعدة على خلفية من الغيوم الخفيفة.

جرى للسيدة الكبيرة استقبال حافل لدى وصولها الى الفيلا. واحست صوفي بنوع من الوحدة وهي تستمع الى الصخب والجلبة باللغة اليونانية السريعة. ولم يفتها ايضاً ان تلاحظ العيون المسائلة التي تحدق بها باستغراب وفضول.

فقط، عندما استلقت على السرير في غرفتها المنعزلة، اصبحت قادرة على التفكير. انها في اليونان فعلاً، ليس لقضاء عطلة قصيرة، بل للعمل لمدة عام كامل على الاقل... ويا له من عام ساحر رائع. وعلى هذه الفكرة الجميلة اغمضت صوفي عينيها وراحت في نوم عميق.

٢ - الفم الدامي

بدأت ايامها في الفيلا تأخذ شكلاً محدداً يتسم بالهدوء والسعادة. كانت تنهض في الصباح الباكر لتسبح في الحوض الواقع فوق هضبة منزوية في الحديقة الكبيرة المحيطة بالفيلا. وفي الثامنة صباحاً، تتناول الافطار في غرفة الطعام المشمسة. اما السيدة ليفكاس فقد كانت تتناول افطارها في سريرها، وهي على اية حال لا تنهض قبل التاسعة. في هذه الاثناء، كانت صوفي تفض الرسائل وتتفحصها بسرعة، ثم تأخذها الى السيدة ليفكاس في غرفة الجلوس لكي تملي منها الرد على الرسائل ذات الصفة المستعجلة. وجرت العادة بعد ذلك ان تطلب السيدة الكبيرة السيارة كي تقوم ببعض الزيارات. فهي نشيطة جداً في الجمعيات الخيرية، وتساهم بشكل فعال في ميزانياتها. وعندما تخرج السيدة من البيت، كانت صوفي تنهمك في طبع الرسائل وتجهيزها للبريد. وما لم تعد السيدة الى البيت عند الغداء، تجد صوفي نفسها تتناول الطعام وحيدة الا من مريتا وايريس الخادمتين اللتين واجهتاها في بادىء الأمر بالفتور، لكن عندما ادركتا انها تتكلم اليونانية تغير الجو تماماً.

كان هناك خمسة من الخدم يعملون في الفيلا، وهم هناك منذ زمن بعيد، ولذلك فهم يعرفون بعضهم جيداً... ويحترمون السيدة الكبيرة التي كانت توليهم وعائلاتهم رعاية خاصة.

وكان البستاني هيكتور رجلاً عجوزاً ونكد المزاج وذا وجه قاس

ومتجعد وهو يكره النساء كثيراً. قالت السيدة وهي تضحك عندما اخبرتها صوفي بملاحظتها عن هيكتور:

- نعم انه كذلك. هيكتور يكره النساء، بمن فيهن انا. وهذا موقف يوناني على وشك ان يزول. ولكن الرجال الأكبر سناً ما زالوا يعتبرون المرأة بدون اهمية. هيكتور عنده ثمانية اولاد وثلاثة وعشرون حفيداً.

كانت صوفي والسيدة ليفكاس تمضيان بعد الظهر في الحديقة، اما في الشتاء فكانتا تجلسان في غرفة مطلة على الخارج تراقبان هيكتور وهو يجمع اوراق الشجر المتساقطة في اكوام، ثم يعمد الى احراقها واحدة بعد الاخرى.

واخيراً حل عيد الميلاد. ولم تشعر صوفي بكثير شوق الى عائلتها في لندن. غير ان الرسائل والهدايا التي جاءتها من اهلها اشعرتها بغصة خفيفة.

وقبل الميلاد بأيام جاء اليكس لقضاء العطلة مع والدته. وفوجئت به صوفي يقدم لها هدية خاصة وهو يضع بين يدي والدته مجموعة من العلب والطرود.

قالت بارتباك:

- لم اكن اتوقع...

قاطعها باسلوب حاسم:

- افتحيها.

وفتحتها صوفي، وراحت تنظر بسرور الى كتاب فخم عن الفن اليوناني. رفعت رأسها اليه وشكرته بحرارة. هز رأسه بايماءة بسيطة ثم التفت الى والدته يراقبها وهي تفتح طرود الهدايا وتعلق على كل واحدة بحديث مسرور.

ظل اليكس في الفيلا لمدة يومين لم تره صوفي خلالها الا نادراً. فهي قد تعمدت ان تتركهما منفردين اكثر وقت ممكن. ولذلك فوجئت به يدخل غرفة عملها الصغيرة قبل ان يغادر عائداً الى مقر

عمله. وقال لها بعد لحظات:

- اريني دفتر حسابات والدتي.

ردت صوفي والابتسامة لا تفارق وجهها:

- انها في الخزنة يا سيد ليفكاس ومفتاح الخزنة مع والدتك.

قال بلهجة لطيفة وحازمة:

- احضريه اذن.

- طبعاً.

رفعت صوفي سماعة الهاتف وطلبت السيدة ليفكاس في غرفة الجلوس وقالت:

- السيد ليفكاس يرغب في الاطلاع على دفتر حساباتك. فهل احضر لآخذ منك المفتاح؟

في هذه الاثناء كان اليكس يتحرك بغضب وهو يتمتم بكلمات منفعلة، فهمتها صوفي لانها سبق لها وسمعت هيكتور يتلفظ بها وهو في حالات الغضب.

قالت السيدة:

- قولي له ان يطلبه مني شخصياً. هل هو عندك الآن؟

ردت صوفي مبتسمة:

- نعم يا سيدتي.

- دعيني اتكلم معه.

قدمت له صوفي سماعة الهاتف دون ان تظهر اية تعابير على وجهها، وقالت:

- والدتك تود الحديث اليك يا سيد ليفكاس.

اختطف منها سماعة الهاتف وهو يرميها بنظرة غاضبة. ثم دخل في حديث منفعل مع والدته، قبل ان يرمي سماعة الهاتف ويلتفت الى صوفي مزمجراً:

- من الواضح انه كان علي ان اتكلم معك بنفسي قبل مجيئك الى هنا يا آنسة بريانت. واريدك الآن ان تسمعيني وتفهميني جيداً.

وبغض النظر عما قالته لك والدتي، انا رب العمل وستأخذين اوامرك مني وليس منها. واذا كان هناك شيء اريد معرفته فعليك اخباري به على الفور، وستفعلين اي شيء آمرك به. هل هذا مفهوم وواضح؟

نظرت اليه ملياً ثم اجابت بهدوء:

- انني افهمك جيداً يا سيد ليفكاس، ولكن ارجو ان تحاول انت ان تفهمني. انني اعمل لدى والدتك وليس لديك، وبالتالي سأنفذ ما تطلبه هي مني. ولائي هو للسيدة اولاً واخيراً. لقد اوضحت لي منذ البداية رغباتها تماماً، وانا مصرة على تنفيذها بحذافيرها.

وضع اليكس كفيه على مكتبها وانحنى نحوها قائلاً بقسوة:

- اسمعي ايتها العنيدة، من واجبي ان احمي والدتي من طيبتها الكريمة. والله وحده يعلم ماذا كانت تفعل لو انني لا اراقبها. فهي على استعداد لاعطاء كل ما تملك اذا ما طلب احد منها ذلك. على كل حال، سأضطر الى صرفك من العمل اذا لم تتجاوبي معي.

لم تتأثر صوفي بحدة كلماته بل قالت بكل هدوء:

- هذا من حقك يا سيد ليفكاس. اما انا فلا استطيع ان افعل الا ما اراه صحيحاً. فاذا كنت تظن ان عقل والدتك غير متوازن، فعليك بالحصول على تفويض شرعي يعطيك حق الاطلاع على كافة اوراقها.

صرخ بها اليكس وقد فاجأته بعباراتها الأخيرة:

- ماذا تقصدين بهذا؟

ردت بهدوء:

- اذا كانت السيدة سليمة الادراك، فهي حرة في التصرف بأموالها.

- من انت لتقولي لي مثل هذا الكلام؟ وماذا سيحصل بعد اشهر في حال اقدامها على تبديد ثروتها على مجموعة من المحتالين؟

قالت صوفي بعد تردد:

- سأحاول ان امنعها. واذا كنت متأكدة من انها في صدد تبديد

ثروتها، فلن اتردد عن الاتصال بك.

انتصب بغضب وصاح:

- ماذا تفعلين؟

- اريد الاتصال بوالدتك كي اودعها.

اطلق اليكس عبارات غاضبة باليونانية، ثم استدار مغادراً المكتب. لكنه توقف عند الباب للحظات وقال:

- سأتذكر هذا طويلاً.

غادر اليكس الفيللا بعد ساعة، وفور رحيله جاءت السيدة الى المكتب مبتسمة وعيناها تلتمعان فرحاً:

- آمل الا يصاب ابني المسكين بعسر هضم طوال الطريق الى نيويورك. لقد كان في اسوأ مزاج رأيته فيه منذ سنوات.

ردت صوفي قائلة:

- ارجو ان لا اكون قد سببت له الكثير من الازعاج.

التقت عينا السيدة بعيني صوفي وقالت ضاحكة:

- اعتقد انه لا يهمك كثيراً ما اذا كنت ازعجته ام لا؟

ترددت صوفي للحظات قبل ان تجيب مبتسمة:

- ليس كثيراً.

قالت السيدة:

- آمل ان تظلي على موقفك هذا. فأنا اعرف اليكس جيداً واظن انه سيعود قريباً.

لكن اشهراً ثلاثة مرت قبل ان يروا اليكس ثانية. فقد عاد في الربيع بعد ان اخضرت المروج وازهرت الورود واصبحت الجزيرة عروساً من الفتنة والجمال.

نهضت صوفي ذات يوم جميل باكراً كي تتمتع بساعات النهار الأولى، وقبل ان تعلو الشمس كبد السماء. وبينما هي تعوم بهدوء في بركة السباحة، اذ بها تسمع وقع خطوات على البلاط المجاور... وقبل ان تدري شاهدت اليكس يقفز الى الماء محدثاً جلبة كبيرة.

سبحت صوفي باتجاه معاكس، ولكن قبل ان تصعد من الماء احست بيد قوية تسحبها الى الداخل. ارتبكت وهي ترى اليكس يسألها متضاحكاً:

- الى اين انت ذاهبة؟

ردت بهدوء:

- اريد تناول طعام الافطار.

قال وهو يسبح مبتعداً عنها:

- هناك الكثير من الوقت امامك.

راقبته بحذر وهي تفكر بأنه يلجأ الى الاسلوب الآخر في طريقة تعامله مع سكرتيرات والدته. سألها بلطف:

- هل تحبين العيش في كريت؟

- كثيراً.

- الم تشعري بالوحدة وانت تعيشين هنا مع والدتي؟

- لا ابداً.

علق بلطف:

- هذه حياة هادئة جداً بالنسبة لفتاة جميلة مثلك. الا تفتقدين لندن؟

قالت صوفي وهي مقتنعة تماماً بصحة قولها:

- على الاطلاق.

تابع اليكس كلامه قائلاً:

- يجب ان استغل وجودي هنا لأرافقك الى هيراكليون. هناك فندق ممتاز في تلك المنطقة يقدم المطعم فيه افضل الاطباق الكريتية.

قالت صوفي بلا مبالاة:

- السيدة ستستمتع بذلك فعلاً. فهي تحب قضاء امسيات العشاء في الخارج.

ركز فيها عينيه الثاقبتين وقال:

- لا اقصد امي يا آنسة بريانت، فقط انا وانت. يجب ان نتعرف

الى بعضنا البعض اكثر.

ردت عليه بتهكم:

ـ اشكر اهتمامك. لكن الوقت الذي تمضيه هنا قصير، ولا اريد ان احرم والدتك من وجودك معها.

وقبل ان تستمع منه الى المزيد، استدارت متوجهة الى طاولة مجاورة لتناول اغراضها. لكنه اسرع يقف امامها قائلاً بلهجة غاضبة:

ـ دعيني اقدم لك النصيحة التالية يا آنسة بريانت. لا تحاولي ان تجعلي مني عدواً. فانا استطيع ان اكون عدواً لدوداً، ولكن اكون ايضاً صديقاً حميماً. واذا كنت حكيمة فعلاً، فعليك ان تجعلي مني صديقاً.

واجهته صوفي بحذر لكن بحزم:

ـ لا رغبة عندي في ان اعاديك يا سيد ليفكاس. كل ما اطلبه هو ان تتركني وحدي اقوم بعملي. انا مولعة جداً بوالدتك. وكن على ثقة بانني سأقوم بحمايتها ما استطيع.

لم يجب اليكس، بل حدق فيها قبل ان ينسحب عائداً الى الفيللا. وشكرت صوفي الله ان الامور انتهت عند هذا الحد، فهي لا تريد معاداته وفي الوقت نفسه تشعر بالولاء للسيدة الكبيرة.

بقيت السيدة ليفكاس في البيت ذلك اليوم. وكالعادة انسحبت صوفي لهما المجال للبقاء منفردين. وعندما التقوا جميعاً على مائدة الغداء، كان اليكس لطيفاً غاية اللطف. واقترح في نهاية الأمر ان يصحب والدته وصوفي الى هيراكليون. لكن الأم قالت معتذرة:

ـ سأتناول العشاء مع اريادن، لماذا لا تأخذ صوفي وتقضيان السهرة معاً؟

نظر اليكس الى صوفي بعينين ساخرتين وقال:

ـ تبدو خائفة من المجازفة بقضاء وقت معي يا امي. ماذا كنت تقولين لها؟ هل ملأت رأسها بقصص مرعبة عني؟

احمر وجه صوفي خجلاً وهي تواجه عينيه المتهكمتين، قالت السيدة:

ـ صوفي احسن سكرتيرة يا اليكس، واياك ان تلعب بعقلها. اريدها ان تظل كما هي. فانا اعرف تأثيرك على السكرتيرات.

قال مبتسماً:

ـ هل انا مخطئ، اذا ما فكرت احدى الفتيات الغبيات بان مجاملاتي العابرة تحمل اكثر من معنى؟

ردت السيدة بحزم:

ـ انت رجل عابث. ولن اسمح لك بان تؤثر على صوفي

حول اليكس نظره نحو صوفي وتساءل مداعباً:

ـ وهل هي عرضة لذلك؟

قالت السيدة مبتسمة:

ـ لا اظن ذلك. واعتقد ان سحرك المشهور يا اليكس لن يؤثر في صوفي هذه المرة.

شعرت صوفي بنوع من الاحراج المشوب بالغضب للطريقة التي كانا يتحدثان بها عنها امامها. لكنها ظلت محافظة على مظهرها الخارجي الهادئ، قال اليكس بعد لحظات:

ـ سنرى صدق هذه الأقوال.

بعد ظهر ذلك اليوم جاءت السيدة الى غرفة صوفي، واصرت على ان تختار لها بنفسها الثوب الذي سترتديه في السهرة، وقالت:

ـ اريدك ان تظهري بأحسن صورة عندما تذهبين مع اليكس الليلة. تذكري ان كل الناس سيراقبونك، فكريت جزيرة صغيرة جداً، واليكس معروف جداً. (ثم اضافت وهي تربت على وجنتها) اياك ان تضعفي يا صغيرتي. وتذكري بانك تعملين عندي وليس عنده. اليكس سيفعل كل ما بوسعه للاستيلاء عليك. ومثل باقي الرجال في اليونان، هو يعتقد ان النساء في الدرجة الثانية. انه يريد السيطرة على حياتي، ويعتقد انني غبية لانني كبرت في السن. حسناً،

حسناً، انه محظوظ. لكن مشكلته انه لا يعترف بغلطه ابدا. عنده كبرياء واحترام شديد للنفس... لا استطيع ان اقول انه الغرور، بل هو الايمان القوي بالنفس. اليكس لا يعترف بأي ضعف، ولذلك يجب ان تعامليه بفتور.

ردت صوفي بثقة:

- لا تقلقي يا سيدة ليفكاس، فسوف اكون عند حسن ظنك.

تأملتها السيدة العجوز ملياً ثم قالت:

- يبدو عليك الثقة الكبيرة بالنفس، ولا بد ان يكون لذلك سبب يا صوفي. انت لم تحدثني قط عن اي انسان آخر. وثقتك بنفسك هذه تعود لسببين: اما انك مغفلة وهذا ما لا اظنه، او انك مهتمة بشخص اخر... ومهما فعل اليكس فانه لن يؤثر على هذا الشعور.

شحب وجه صوفي بشدة، لكنها تمالكت وهي تقول:

- لن ادع ابنك يؤثر علي يا سيدتي، ولن اتخلى عن التزامي بك.

ابتسمت السيدة وقالت برفق:

- حسناً، لن اطرح عليك اسئلة اخرى. انت صاحبة كبرياء يا صوفي، وانا اعرف متى يغلق انسان ما الباب في وجهي.

عندما حل المساء، هبطت صوفي الى قاعة الاستقبال حيث كان اليكس ينتظرها بنفاد صبر، وهو يتأمل ساعته بين الفينة والاخرى. وما ان اطلت حتى اخذ يتأمل فيها ملياً، وقد بدت بكامل فتنتها في الفستان الابيض الناصع الذي زاد لمعان شعرها جاذبية وسحراً.

احست صوفي بالغضب للطريقة التي تفحصتها فيها عينا اليكس الثاقبتان. لكنها تشاغلت بمراقبته في بذلته البيضاء الانيقة والقميص الحريري المطرز. قال لها بلا مبالاة وهو يتقدمها:

- هل انت جاهزة؟

سارت بهما السيارة الى هيراكليون وسط طريق تحف بها الاشجار الكثيفة، دون اضاءة سوى اشعة القمر الفضية. وعلى مقربة كان الشاطىء يمتد بلا نهاية، وصوت الامواج الغافية تداعب الحصى

والصخور فتعطي موسيقى منعشة في ذلك المساء.

التفت اليها اليكس فجأة وقال:

- انك قليلة الكلام يا آنسة بربانت. هل هذا لأنك لا تعرفين الحديث، ام انك خائفة من قول اي شيء امامي؟

- انا لا اعرف عنك الا القليل يا سيد ليفكاس.

قال بهدوء:

- اليكس فقط.

لم تجب صوفي، فواصل حديثه بانفعال:

- هل هذا قانون آخر من قوانين والدتي؟ هل يجب ان نظل نتعامل برسمية الى الابد يا صوفي؟

كان عقلها يقول لها ان ذلك غير ضروري، لكن ماذا سيكون موقف السيدة الكبيرة اذا ما بدأت تنادي ابنها باسمه الأول فقط؟

اضاف ساخراً:

- ما هذا التهذيب العظيم؟

ابتسمت في محاولة لتطرية الجو:

- لا اقصد ان اكون فظة، لكنني احاول ان اطبق تعليمات والدتك.

قال بلهجة آمرة:

- وهل اخبرتك لماذا قررت ان تضع هذه القوانين العجيبة الغريبة؟

ظلت صوفي صامتة، فتابع يقول:

- ارى انها قد فعلت ذلك. هل الذنب ذنبي لان السكرتيرتين السابقتين تخيلتا انهما واقعتان في حبي؟

اجابت بأدب:

- بما انني لم اكن موجودة هنا، فمن الصعب علي ان احكم في هذه المسألة!

كان اليكس يعرف جيداً ان صوفي تلومه في سرها. وقد جاء

تصرفه معها في هذه الزيارة ليؤكد المشاعر التي زرعتها والدته في نفسها . . فهناك فارق كبير بين اسلوبه الفظ في المرة الأولى، وهدوئه الرائف الذي يعاملها به الآن.

وصلا الى الفندق حيث تم استقبالهما باحترام شديد، وقادهما المدير بنفسه الى طاولة منزوية مزينة بالزهور. وقد لاحظت صوفي ان عيوناً حاسدة تحملق في اليكس خفية، رافقتها همسات خافتة من هنا وهناك.

كانت الجلسة هادئة وجميلة. لقد تغير اليكس واصبح اكثر هدوءاً، وقصر حديثه على معرفة اوضاع عائلتها واصدقائها وحياتها في لندن. لكن بين الحين والآخر، كان يباغتها باسئلة شخصية . . . غير انها كانت مدركة لمحاولاته ولم تنزلق في اي جواب يعطيه سلاحاً في معركته معها.

قال لها في احدى المرات:

- انت غريبة يا صوفي. معظم الفتيات في سنك يضجرن من العيش مع امرأة عجوز في فيللا منعزلة. الا تتوقين الى اضواء لندن الصاخبة؟ الا يوجد احد في انكلترا تشعرين بالشوق اليه؟

قالت وهي تراقب الخادم وهو يصب القهوة المرة المركزة:

- عائلتي فقط.

رفع حاجبيه متسائلاً:

- فقط؟ اليس هناك رجل ما؟

تشاغلت صوفي عن الاجابة بارتشاف القهوة المرة، ثم تناولت قطعة من الحلوى اليونانية وراحت تمضغها ببطء. سألها بعد لحظات:

- هل تمانعين في ان ادخن؟

هزت رأسها بلا مبالاة وقالت:

- تفضل.

اشعل سيجاراً، ثم مجه بهدوء، وقال:

- انت لغز. انا لا اثق بالنساء الهادئات يا آنسة بريانت. ولا شك انك تخفين شيئاً ما. وعندما اكتشف هذا الشيء ستندمين اذا ما كنت قد اخفيت عني ما يجب ان اعرفه.

رشفت صوفي القهوة مجدداً، ثم رفعت عينيها اليه قائلة بابتسامة ساحرة:

- تأكد يا سيد ليفكاس انني لا احاول ان اخفي عنك شيئاً.

ارتاح اليكس لاجابتها، واخذ يحدثها عن موضوعات مختلفة، عن الحياة في كريت والاحتفالات والتقاليد الشعبية. وانتهت السهرة دون ان يعود للحديث عن حياتها الخاصة. وعندما وصلا الى الفيللا قال لها:

- هل تحبين الاستماع الى الموسيقى؟

هزت رأسها بالنفي وارادت التوجه الى غرفة نومها، لكنه دفعها امامه الى غرفة الجلوس وهو يقول:

- تخبرني امي انك تستمتعين بتفحص مكتبة الاسطوانات عندنا، وهي مسرورة لوجود من يشاركها هواياتها.

وبعد لحظات وقفت صوفي لتقول:

- شكراً على العشاء يا سيد اليكس. لقد كانت سهرة جميلة، اما الآن فتصبح على خير.

وقبل ان تصل الى الباب كانت يده تمسك بمرفقها وتشدها بقوة. فوجئت صوفي بهذه الحركة، ووجدت نفسها بين ذراعيه القويتين لكنها قاومته بشدة مما ادى الى اصابته بجرح في شفتيه فصرخ قائلاً:

- لماذا فعلت هذا ايتها العنيدة؟ ان شفتي تنزف.

قالت بقوة:

- انا متأسفة، لكني هنا للعمل مع والدتك وليس لتسليتك.

واخيراً وصلت صوفي الى غرفتها وهي تشعر بنشوة الانتصار! ربما سيفهم الآن حقيقة مشاعرها ويكف عن ازعاجها. لقد كانت تتعاطف مع رغبته في حماية امه الكريمة الى حد الاسراف في بعض

الأحيان . . . لكن الوالدة بالغة وتعرف كيف تتصرف، وهي حرة في طريقة التصرف بأموالها الخاصة .

في اليوم التالي، عاد اليكس الى فظاظته وقسوته . لكنه على مائدة الغداء، التفت اليها مبتسماً وقال بهمس:

ـ شفتي ملتهبة .

سألته والدته التي لم تسمع الكلام جيداً:

ـ ماذا حصل؟

هز كتفيه بلا مبالاة وقال:

ـ لا شيء .

وفكرت صوفي ان هذا الوصف ينطبق عليها تماماً . فهي برأي اليكس شيء، غير مهم ابداً . . . وقد اراد ان يوصل لها هذا الانطباع بطريقة غير مباشرة .

صادفها ان اليكس كان يمضي صباح كل اليوم في حوض السباحة . وكان على طاولة الافطار يقص عليها حكايات طفولته في كريت، وكيف ان الجزيرة تغيرت نحو الأسوأ . وقال لها ذات يوم:

ـ ان الوضع متشابه في كل مكان . ان ما تعطيه الحضارة بيد تأخذه بالاخرى . العالم يصغر بسرعة، والعشائرية القديمة اخذت تختفي .

قالت له:

ـ لكن هذه الأمور تحصل اسرع في انكلترا، بينما كريت ما تزال كما هي !

رد موافقاً:

ـ العادات لا تموت بسهولة هنا . والظاهر انك تحبينها كثيراً .

قالت بهدوء:

ـ طبعاً احبها .

كانت صوفي الى جانب السيدة العجوز عندما ودعها اليكس مسافراً . وبعد ان قبل والدته التفت الى صوفي قائلاً:

ـ اعتني بوالدتي جيداً يا آنسة بريانت .

ردت صوفي على عبارته ذات المغزى بتحد واضح:

ـ سأفعل ذلك بكل تأكيد .

تنهدت السيدة بعد ان غادر المكان:

ـ اني احبه، لكنه يتعبني . انه كالاعصار الصاخب، على الانسان ان ينتظره حتى يبتعد . . . والا اصيب بالجروح والاضرار (ثم التفتت الى صوفي قائلة فجأة) اذن لقد قاومته؟

سألتها صوفي بدهشة:

ـ وكيف عرفت ذلك؟

ضحكت السيدة العجوز:

ـ لقد كان متضايقاً منك جداً .

قالت صوفي مبتسمة:

ـ انا اعتذر لذلك .

ردت السيدة مشجعة:

ـ انا مسرورة للغاية . انت لؤلؤة نادرة يا صوفي . والآن يمكننا ان نهدأ لوحدنا لبعض الوقت على الأقل . . . وارجو الا تجدي هذا مملاً .

اجابت صوفي بحرارة:

ـ ابداً . . . لم اكن سعيدة في حياتي مثل ما انا الآن .

تنهدت السيدة العجوز، فنظرت اليها صوفي باستغراب متسائلة:

ـ ماذا في الأمر؟

ردت السيدة بأسى:

ـ انت يا صوفي . ليس من الطبيعي لفتاة في الثالثة والعشرين ان تفكر بهذه الطريقة . فمن المفروض ان تكوني قد مللت الفيللا ورتابة ايامنا ولياليها . انا عجوز، وقد استهلكت ايامي . لكن انت صغيرة جداً، هذه الحياة المملة!

قالت صوفي برفق وحنان:

ـ ربما؟ لكن هل يجب على الانسان ان يكون متقدماً في السن حتى

يحب هذه الحياة الهادئة؟

همست السيدة ممازحة:

ـ ربما كان علي ان لا احذرك من اليكس. ربما كان يجب ان اتركه يلعب بعواطفك، فصدمة عاطفية صغيرة افضل بكثير من عدم وجود اية مشاعر.

ابتسمت صوفي ساخرة:

ـ لم يكن الامر ليختلف ابداً. فانا لست معرضة للخطر من بنك يا سيدة ليفكاس.

ردت السيدة وهي تهز رأسها مفكرة:

ـ طبعاً لا، واني لاتساءل عن الاسباب!

٣ - عودة سريعة

كانت السيدة الكبيرة مخطئة عندما اخبرت صوفي ان اليكس لن يعود قبل عدة اشهر. اذ لم تمض اسابيع قليلة حتى عاد فجأة وبصحبته عدد من الضيوف. والغريب في الامر انه اعلمهم بحضوره قبل ٢٤ ساعة فقط من مجيئه بطائرته العمودية التي هبطت في الحديقة الهادئة وكأنها وحش حديدي هبط من السماء بصخبه وجلبته.

اعد الخدم اربع غرف حسب التعليمات. وكانت صوفي في غرفتها عندما تناهت اليها اصوات الضيوف، فتعرفت على الفور الى صوت اليكس من بينها، ثم صوت امرأة ذات بحة عميقة، واخيراً صوت رجل يتحدث اليونانية بطلاقة. وبعد ان غاب الجميع لعدة دقائق داخل احدى غرف الاستقبال، عادوا الى صالة الانتظار ومن هناك كل الى غرفته لتغيير الملابس قبل مأدبة العشاء التكريمية.

كانت صوفي تنهي لائحة الجمعيات الخيرية التي تشارك فيها السيدة الكبيرة، عندما لاحظت ان الوقت بات متأخراً. فاسرعت ترتب اوراقها في الادراج، عندما فتح الباب وظهر منه اليكس الذي اعتقد انها تخبىء الاوراق عنه، فقال غاضباً:

ـ لا تخفي عني الاوراق وكأنني جاسوس اتى ليسرق اسرار الدولة العليا.

رفعت صوفي رأسها مستغربة انفعاله وقالت:

ـ لم اخف شيئاً، كنت ارتب المكان قبل ان انهي عملي.

صرخ اليكس:

- لا تكذبي علي. ما الذي اخفيته في تلك الادراج؟

ردت صوفي ببرود:

- انك تتخيل الاشياء فقط.

اجابها آمراً وهو يمد يده نحوها:

- دعيني ارى اذن!

ابتسمت صوفي وهي تسير نحو الباب:

- عن اذنك يا سيد ليفكاس.

لكنه امسك ذراعها بقوة واوقفها في مكانها وقال:

- هل اشتقت الي؟

وعندما لم تجب سوى بابتسامة صفراء تابع يقول:

- لقد عرفت من انت ايتها العنيدة... مجرد غبية تجري في عروقها دماء باردة للغاية.

حدقت صوفي ملياً في قبضته الملتفة حول ذراعها وقالت:

- اشكرك على لطفك يا سيد ليفكاس، والآن هل تسمح؟ فانا اريد الاستعداد لحفلة العشاء.

ظل اليكس ينظر اليها لدقائق قبل ان يقول ببرود:

- امي تمدحك في حديثها دائماً، لكن اياك ان تحلمي بالسيطرة علي كما تسيطرين عليها.

ضحكت صوفي بعصبية وقالت:

- لا، مطامحي لم تذهب الى ذلك الحد.

- لا ضرورة للخداع. ان اي امرأة لها جمالك لا يمكن ان تعيش هذه الحياة الهادئة ما لم يكن هناك دافع ما يجعلها تقبل العيش والعمل مع عجوز!

انتظر اليكس كي يسمع منها اجابة ما، لكنها اعتصمت بالصمت مما دفعه لمغادرة الغرفة وهو يرغي ويزبد.

كان الضيوف الاربعة عبارة عن زوجين في الثلاثين من العمر هما

ستيفن وهيلين ميكلوس ويعملان في فرع شركة ليفكاس في اثينا، واخ واخته يعملان ايضاً في الشركة نفسها لكن في فرع نيويورك ويدعيان مايكل وبياتريس. كان مايكل طويل القامة ذا شعر داكن. اما اخته فكانت اقصر منه قامة وترتدي فستاناً احمر يظهر جمال جسمها وتناسقه.

لاحظت صوفي ضيق السيدة ليفكاس عندما تم التعارف بينها وبين بياتريس، ولكن هذه الأخيرة سرعان ما فتحت الحديث مع صوفي متسائلة:

- هل يروق لك العمل في اليونان؟

اجابت صوفي:

- اكثر مما تتصورين.

تدخلت السيدة ليفكاس قائلة:

- ان صوفي سكرتيرة ممتازة، وهي افضل من كل اللواتي عملن معي.

سألها اليكس ونظرة غاضبة في عينيه:

- ماذا تشربين؟

ردت بهدوء:

- كوب من عصير البرتقال، رجاء.

ناولها اليكس الكوب ثم التفت الى بياتريس وهو يمد يده:

- لقد اشتريت مؤخراً لوحة لبيكاسو، واريد ان آخذ رأيك بها... فتعالي كي اريك اياها.

وعلى الفور وافقت بياتريس بدلع، بينما التفتت السيدة الكبيرة الى صوفي وابتسامة ذات معنى على شفتيها وكأنها تريد ان تقول لها ان اليكس يئس منها، ولذلك فهو يبحث عن طريدة اخرى.

على العشاء انحنى مايكل نحو صوفي قائلاً بصوت منخفض:

- ان الطعام لذيذ، واليكس يزيد الجو حرارة ومرحاً.

سألته صوفي:

- وكم هو عمر شقيقتك؟
اجابها:
- في الحادية والعشرين (ثم قال بعد تردد) لقد حذرتها من مغبة هذه التصرفات، لكنها لا تأخذ تحذيري على محمل الجد.
سألته صوفي هامسة:
- وهل كنت تتوقع ان تستجيب لتحذيرك؟
وقبل ان تسمع الجواب احست بنظرات اليكس الباردة مصوبة نحوها، فأسرعت تنظر الى طعامها متشاغلة بالأكل عن الباقين... وان كانت تسترق بين الحين والآخر نظرات خاطفة الى اليكس وبياتريس.
صعدت السيدة ليفكاس الى غرفة نومها باكرة كالعادة، في حين جلست صوفي ومايكل يتحدثان عن ظروف مدينة نيويورك، بينما خرج اليكس وبياتريس الى الحديقة للتمتع بمناظر الجبل الساحرة. اما الزوجان ستيفن وهيلين فكانا يرقصان على ايقاع الموسيقى الناعمة الهادئة.
قال مايكل وهو يلاحظ اهتمام صوفي بالزوجين:
- مضى على زواجهما سنة تقريباً، ومع ذلك ما زالا مغرمين بعضهما البعض.
ردت صوفي ساخرة:
- شيء مدهش فعلاً.
حول مايكل نظره الى النافذة وقال:
- اليكس رجل عابث. واتمنى ان تكون بياتريس قد اوقفته عند حد. لقد عرفت فتيات اعقل من اختي، ومع ذلك وقعن في شباكه لاعتقادهن بانه جدي... لكن النتيجة كانت واحدة تماما.
قالت صوفي:
- يبدو انك تعرفه تمام المعرفة؟
- انني اراه في نيويورك كثيراً، واعتقد ان النساء لا يستطعن مقاومة

كل هذا المال، ويحاولن دائماً الامساك به... لكنه مراوغ كبير.
علقت صوفي بصوت جاف:
- يبدو انه تعود على هذه الحالة.
وافق مايكل بهزة من رأسه:
- اظن ذلك.
بعد لحظات اعتذر الزوجان منهما وصعدا الى غرفة نومهما للراحة بعد عناء السفر. وجلست صوفي مع مايكل تستمع منه باهتمام الى طبيعة عمله مع اليكس. فلقد كان صاحب مركز مرموق في فرع الشركة في نيويورك، وان كان لم يبد عليه اي غرور نتيجة لذلك، قال مايكل في ختام حديثه:
- ان العمل مع اليكس ليس سهلاً.
في هذه اللحظة عاد اليكس وبياتريس من الحديقة، ووقفا قرب الباب للحظات قبل ان يدخلا الى حيث صوفي ومايكل. عندها نهضت صوفي لتصعد الى غرفة النوم، فقال لها مايكل:
- هل انت مشغولة غداً؟ اقصد هل من الممكن ان نقوم معاً بجولة في جزيرة كريت تكونين انت الدليل فيها؟
وقبل ان تجيب صوفي، عمد اليكس الى اطفاء آلة التسجيل قائلاً:
- امي لا تحب الموسيقى في الليل.
ووجدت صوفي الفرصة سانحة للانسحاب، فودعت الجميع وانصرفت. لكن اليكس لحقها الى الخارج واوقفها بفظاظة:
- لقد سمعت مايكل يطلب منك مرافقته في نزهة غداً. ولا اظن انك سترافقينه لانك هنا من اجل العمل مع امي، وليس لأي سبب اخر!
اجابته صوفي بلا مبالاة:
- تصبح على خير يا سيد ليفكاس.
سألها اليكس فجأة:

ـ هل تجدين مايكل جذاباً؟
التفتت اليه وقد فاجأها سؤاله، وقالت:
ـ مايكل؟ انه لطيف وجذاب جداً.
استدار اليكس غاضباً وعاد الى غرفة الجلوس، في حين صعدت صوفي الى غرفة نومها حيث ظلت تسمع اصوات الثلاثة حتى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل... ثم اوت الى الفراش منهكة.
استيقظت في الوقت المعتاد، وتوجهت على الفور الى حوض السباحة. فوجدت باليكس هناك يمارس تمارينه الصباحية الرياضية دون ان يهتم بوجودها، فانصرفت الى شؤونها ولم تعره اي اهتمام. لكنه اقترب منها بعد دقائق وقال:
ـ هل امضيت ليلة طيبة؟
اجابته بهدوء:
ـ نعم. لقد كنت اتوقع ان تظلوا في الفراش حتى وقت متأخر هذا الصباح، فلماذا استيقظت باكراً؟
نظر اليها بحدة وقال:
ـ هل سمعت اصواتنا عندما اوينا الى الفراش؟
ردت بابتسامة ساخرة:
ـ ايقظني صوتكم فعلاً. لكن ذلك لم يزعجني لانني عدت واستغرقت في النوم سريعاً... فانا انام ملء جفوني!
حدق فيها بغضب شديد، ثم استدار دون ان ينطق باية كلمة.
استغربت صوفي تصرفات اليكس العجيبة هذه، ولكنها اكملت تمارينها غير عابئة بطباعه الغريبة الاطوار. وبعد ان انهت التمارين وجلست للراحة بعض الوقت، سمعت صوته الجاف اخيراً:
ـ لا تنسي ما قلته لك. عليك ان تواصلي عملك العادي مع امي دون ان تلهي مع مايكل للتجول والسباحة خلال غيابي!
هزت صوفي رأسها بلا مبالاة، فواصل حديثه وقد تغيرت نبرة صوته:

ـ ان بياتريس جميلة، اليس كذلك؟
وافقت صوفي ببساطة:
ـ رائعة الجمال فعلاً.
واخذت صوفي تسأل نفسها عما اذا كان اليكس يشعر بشيء خاص نحو بياتريس بعكس ما يعتقد مايكل؟ لقد امضيا ليلة الأمس معاً في الحديقة في جو شاعري للغاية.
تابع اليكس اسئلته قائلاً:
ـ هل رأيت امرأة اكثر جاذبية من بياتريس؟
ردت صوفي وهي تخفي ضحكة خفيفة:
ـ ليس مؤخراً على اي حال!
صرخ فيها والشرر يتطاير من عينيه واسنانه تصر صريراً عالياً:
ـ هل تجدين ذلك مضحكاً؟ اذن دعينا نضحك معاً.
ردت بهدوء:
ـ ليس هناك سبب للضحك.
وعند هذا الحد تركها اليكس لشأنها وانصرف عائداً الى البيت، في حين ظلت هي جامدة لدقائق في مكانها... ثم توجهت الى غرفتها استعداداً ليوم طويل من العمل.
امضى اليكس وضيوفه بعض الوقت ظهراً يجوبون التلال، وهكذا لم يكن هناك مجال للتعامل معهم... فانصرفت صوفي الى اعمالها مع السيدة نيكاس التي اخبرتها ان اليكس يتحول من سيء الى اسوأ، وانها تشاجرت معه هذا الصباح بسببها لانه طلب منها طرد صوفي من العمل.
سألتها صوفي بابتسامة رقيقة:
ـ وهل ستطردينني؟
ضحكت السيدة وقالت:
ـ كلا... وقد انفجر غضباً عندما رفضت طلبه هذا.
سألتها صوفي بفضول:

- ولماذا لا يريدني في هذا المكان؟

ردت السيدة وهي تتأمل صوفي بامعان:

- انه يتهمك بالغرور والعبث مع مايكل. ويبدو ان الاتهام الثاني هو السبب الرئيسي في غضبه، كما وانه اتهمك بأشياء اخرى منها انك متعجرفة ولا تعرفين حدودك الطبيعية. وقد هدد بانه سيطردك رغماً عني اذا ما وجدك مع مايكل مرة اخرى!

قالت صوفي بلا مبالاة:

- ساحاول ان اتجنب مايكل قدر الامكان.

قاطعتها السيدة بصوت رقيق:

- لا تهتمي به. افعلي ما تشائين ولا تهتمي بأليكس. ان من حقك الترويح عن النفس... ولن نكون منهمكتين في العمل طالما ان الضيوف موجودون هنا.

بعد مدة دخل مايكل غرفة عملها، ثم انحنى على الطاولة مسلماً، فسألته بابتسامة رقيقة:

- هل امضيتم وقتاً ممتعاً؟

اجابها بلطف:

- كانت نزهة رائعة. ولكن الا يمكنك التوقف عن العمل هذا اليوم على الاقل؟

ردت بهدوء:

- انا هنا للعمل اساساً.

جلس مايكل على حافة المكتب، وقال:

- لكل شيء وقته يا صوفي!

في هذه اللحظة اطل اليكس عند الباب، فتراجع مايكل عن المكتب وغادر الغرفة وهو يتمتم، في حين صرخ اليكس قائلاً:

- الآنسة بريانت موجودة للعمل هنا، وليس لأي شيء آخر.

وعندما اختفى مايكل اغلق اليكس الباب بشدة، والتفت الى صوفي صائحاً:

- الم اقل لك ان تبتعدي عنه؟

ردت بهدوء:

- لم اغادر مكتبي طيلة اليوم.

- لكنه كان هنا!

- لا استطيع ان اطلب من احد ضيوفك ان يترك المكتب!

صرخ بحدة:

- افعلي ذلك في المرة المقبلة... وانا المسؤول.

سألته وهي لا تصدق اذنيها:

- هل تريدني فعلاً ان اطرد احد ضيوفك من المكتب؟

تغيرت ملامح اليكس فجأة بعد هذه العبارة، واستدار قليلاً ليجلس على حافة المكتب بجوارها قائلاً:

- يبدو انك لا تجدين صعوبة في طردي انا!

حولت صوفي نظرها الى النافذة وقالت:

- ارجوك يا سيد ليفكاس، لقد سبق لنا الحديث حول هذا الموضوع.

سألها بهدوء:

- اي موضوع تقصدين؟

ردت بهدوء:

- انت تعرف جيداً ما اعني.

اجاب دون ان يرفع عينيه عنها:

- لا، لست اعرف ابداً (ثم اضاف وهو يطيل التحديق في شعرها) لا الوم مايكل على اعجابه الواضح بشعرك!

وقبل ان تصل يده الممدودة الى شعرها، ابعدته بحدة قائلة:

- لا تلمسني.

كانت عبارتها هذه كمن اشعل النار في الهشيم. اذ انتفض غاضباً وامسكها من كتفيها بعنف قائلاً:

- طريقتك الفظة هذه لن تنفعك.

ردت وهي تشعر بالاحراج والارتباك بين يديه:

ـ ماذا تقصد؟

قال بابتسامة خبيثة ساخرة:

ـ انني اعرف جيداً هذه الوسائل. ان محاولاتك لاصطيادي من خلال هذه الطريقة لن تنفع ابداً.

احتقن وجه صوفي غضباً وهي ترد بعنف شديد:

ـ انت مخطئ، يا سيد ليفكاس. فانا لا احاول اجتذابك لانني لا اميل اليك مطلقاً... وكل ما اريد هو ان اقوم بعملي بسلام.

قبل ان تدري اطبق اليكس ذراعيه حولها واحتضنها بشدة... لكنها ظلت تقاومه بشدة الى ان تخلصت من قبضته القوية، صارخة فيه:

ـ كيف تجرؤ على التصرف معي هكذا! لقد احضرت باتريس معك، فاذهب اليها. انها تبدو سعيدة بك، اما انا فلا.

ولشدة دهشتها رأته يحول عينيه عنها وكأنه يبحث عن شيء في الغرفة، ثم انسحب من المكتب بصمت وهدوء.

لم تستطع صوفي بعد ذهابه ان تعود الى العمل. لقد سبب لها اليكس الكثير من الازعاج بتصرفاته تلك... لكنه ايضاً فجر في ذاتها كوامن قلبها التي كانت تظنها قد ماتت الى الابد بعد ان نسيت شبح الرجل الذي حرمها النوم.

في تلك الليلة ادعت صوفي التعب والصداع معتذرة عن تناول العشاء مع الضيوف، واوت الى فراشها على الفور دون ان تستطيع الاغفاء بسبب بحر الافكار المتلاطمة التي كانت تعبث بها. لقد عادت بها الذكريات الى الرجل الذي احبت في الماضي، والى السنوات الخمس المريرة التي امضتها وحيدة بعده. هذه السنوات التي حولت وجهها الى لوحة صارمة قاسية. من السهل عليها ان تتورط في علاقة عابرة لا يعرف بها احد. وكم من مرة اتهمت نفسها بالغباء لانها حرمت نفسها من الرجل الوحيد الذي كان من الممكن

ان يسعدها. لقد عانت الكثير في البداية، لكن مع الوقت نجحت في الابتعاد عنه... وشيئاً فشيئاً تمكنت من وأد عاطفتها نحوه لدرجة انه لم يعد يخطر على بالها الا لماماً.

كانت تلك الليلة من امسيات الربيع الدافئة التي يحلو فيها السهر على ضوء القمر والنجوم المشعة. ومن اسفل النافذة سمعت صوفي صوت ضحكات مسرورة، عرفت على الفور انها لاليكس وباتريس اللذين يبدو عليهما الانسجام والراحة... فقامت بعصبية لتغلق النافذة المشرعة، ومع ذلك ظلت تسمع صدى ضحكات اليكس التي تعبر عن الارتياح التام. واغفت على تلك الهمسات الدافئة.

في صباح اليوم التالي توجهت كالعادة الى حوض السباحة للقيام بتمريناتها اليومية. وما هي الا لحظات حتى رأت اليكس قادماً بالرغم من انه لم يأو الى الفراش الا متأخراً ليلة امس. احست صوفي بالضيق من وجوده: لماذا لا يأخذ ضيوفه ويرحل؟ انه على وشك ان يدمر الملجأ الآمن الذي قدمته لها والدته منذ اشهر.

وصل اليكس الى جانبها وقال مبتسماً:

ـ اعتذر عن الازعاج الذي سببناه لك امس.

عرفت صوفي انه يقصد وجوده مع باتريس تحت النافذة في الليلة الماضية، فقالت بهدوء متوتر:

ـ ابداً، لم تسببا لي اي ازعاج!

مرر يده من خلال شعره المبلل وقال بغضب:

ـ لكن صريحين يا آنسة بريانت. انا لا اثق بك ابداً، لانك هادئة الاعصاب الى حد لا يطاق.

ردت ببطء:

ـ اذا كنت تقصد انني ارفض ان تعاملني بخشونة، فهذا حقي. ولربما كان من الجديد عليك ان تعرف ان هناك من النساء من لا يرغبن في تلك المعاملة القاسية!

قال بحدة:

- هل تؤمنين بالمساواة بين الرجل والمرأة؟ (ثم اضاف بعد تردد) اياك ان تحاولي خداعي. هناك شيء ما تخططين له، وسأعرفه يوماً ما. اذا كان طموحك في مال والدي قد دعتك من ذلك. فسأحاسبك عن كل قرش تستولين عليه.

حدقت فيه ملياً ثم قالت:

- يا الهي، الا تستطيع التفكير بشيء آخر غير المال؟

ودون ان تنتظر منه جواباً ابتعدت عنه الى احد الكراسي المجاورة، لكنه لحق بها وهو يقول:

- ان فتاة ذكية مثلك يمكن ان تحقق الكثير اذا استخدمت ذكاءها بطريقة منطقية. ان وجودك هنا مضيعة للوقت، تعالي الى نيويورك حيث...

قاطعته وقد احتقن وجهها غضباً:

- لا تكمل. جوابي القاطع هو... لا!

امسك بكتفيها وهو يبتسم بدهاء:

- هناك دائماً فرص مفتوحة لامرأة ذكية لها جمالك في الشركة.

قالت صوفي وهي تبعد يديه عنها:

- آه، اني اتخيل ذلك فعلاً. ولكن هذا العرض لا يروق لي.

صرخ بصوت حاد:

- انت لا تختلفين عن الاخريات، فلا تحاولي التظاهر بعكس ذلك. ان وجهك الهادىء هذا يخبىء تحته ناراً مشتعلة، وخاصة عندما تشع هاتان العينان الخضراوان.

احمر وجهها خجلاً وقالت بازدراء:

- ان ذلك لن يفيدك في شيء، اذا ما كررت هذا الحديث على مسمع والدتك!

اتسعت حدقتاه وهو يقول:

- هل تحاولين ابتزازي؟

صرخت صوفي بنفاد صبر:

- اريدك ان تعرف فقط انني غير مهتمة بمرضك، وارجو منك ان لا تلاحقني بعد الآن لا بعينيك ولا بيديك.

اسرعت صوفي الى الجهة الاخرى من الحوض بخطى غاضبة، تاركة اليكس يلاحقها بنظراته وقد وضع يديه على خاصرتيه باستخفاف وسخرية.

فاجأها صوت محرك الطائرة عند المساء، فاطلت من النافذة لتجد مايكل يستعد للرحيل. فقال عندما شاهدها:

- انا على وشك الرحيل الآن.

سألته بصوت عال:

- لماذا هذه العجلة؟

رد مايكل بصوت عال مماثل:

- قد نلتقي مرة اخرى.

وفجأة تدخل اليكس:

- لقد كان اللقاء معك رائعاً، حتى وان لم يستغرق طويلاً.

ثم اقلعت الطائرة حاملة الضيوف واليكس الى مقر عملهم في اثينا ونيويورك ولندن.

قالت السيدة ليفكاس على العشاء:

- كانت زيارة اليكس هذه قصيرة جداً.

- لا يمكن التوقع بما سيقدم عليه ابنك.

ردت السيدة وهي تبتسم:

- بل احياناً يمكن توقع تصرفاته بسهولة شديدة.

هل يمكن ان تكون السيدة ليفكاس قد شكت بالعرض الذي قدمه اليكس؟ ان هذه السيدة العجوز ذكية وتعرف ما يدور حولها بالرغم من طيبة قلبها ورقة طباعها. فهي تدرك عمق العالم الجشع الذي يعيش فيه ابنها. وقد قالت مرة انها تفضل العيش بعيدة عنه لانه عالم اصطناعي حيث الاسماك الكبيرة تلتهم الاسماك الصغيرة، وكل شخص يريد ان يستولي على كل شيء من الآخرين.

واكدت انها لن تعيش في هذا العالم المزيف: وانظري الى تلك الوجوه الجميلة المشرقة واسألي نفسك: هل هم بشر، بينما هم يقومون بخلعها كل يوم!».

٤ - لست سلعة للبيع!

بحلول فصل الصيف الدافىء في كريت، راحت السيدة ليفكاس تأخذ صوفي في نزهات يومية الى اودية وسهول تلك الجزيرة الساحرة، حيث الطبيعة الخلابة الخالية الا من بعض الفلاحين الموزعين هنا وهناك.

احست صوفي بشغف خاص نحو كنوسوس الاثرية. وكثيراً ما كانت تبقى لعدة ساعات في تلك المدينة تتأمل الاطلال متعجبة من المهارات الفنية التي امتلكها اليونانيون الاقدمون.

وخلال نزهاتهما، كانتا تتوقفان في العديد من القرى الريفية الضائعة وسط الوديان لتناول المرطبات واخذ قسط من الراحة. وفي تلك الاثناء كانتا تتأملان اوجه عجائز القرية المنهمكات في صنع بعض التحف اليدوية وبيعها للسياح الذين يتكاثرون في فصل الصيف.

في احدى المرات توقفت الامرأتان قرب مجموعة من التماثيل واللوحات القديمة. وفجأة هتفت صوفي:

- هذا التمثال يشبه اليكس.

نظرت السيدة الى التمثال الذي اشارت اليه صوفي، ثم ابتسمت قائلة:

- نعم انه يشبه اليكس . . . بل هو اليكس كما يستطيع ان يكون.

حدقت صوفي بالتمثال ملياً. انه ذو وجه يوناني صلب يحمل

الكبرياء والقوة والرقة في آن واحد.

مضى وقت طويل على سفر اليكس دون ان يسمعا منه جديداً. كان بين الحين والآخر يتصل هاتفياً بوالدته للاستفسار عنها، وعندما كانت صوفي ترد على الهاتف، كان يوجز في الحديث طالباً منها تحويله الى والدته على الفور.

في يوم حار جداً، احست السيدة ليكاس بصداع قوي وقررت الاخلاد الى النوم. لكنها نزلت من غرفتها بعد لحظات ويدها على رأسها قائلة:

- اني اشعر بالقلق. لا ادري لماذا... لكن صدري منقبض.

علقت صوفي وهي تنظر الى البعيد:

- انه يوم حار جداً.

قالت السيدة:

- كما وانه رطب ايضاً... ارجو ان لا تكون...

ولم تكمل السيدة عبارتها، اذ سمعت صوفي صوت الهواء ينفجر بشدة، ثم احست بالارض ترتفع تحت قدميها ورأت الاشجار تهتز في الافق اهتزازاً مريعاً.

صرخت السيدة:

- صوفي اخرجي بسرعة... انه الزلزال.

وعلى حين بغتة انفجرت اصوات الهلع من الخدم الذين اخذوا يتدافعون في كل حدب وصوب، بينما اصوات الزجاج تتحطم على حافة الحديقة وحوض السباحة. وما هي الا لحظات قليلة حتى هدأت الارض وسكنت الرياح، فعادت صوفي الى مرافقة السيدة الى غرفتها لترتاح، في حين التفت الخدم لاعمالهم وتوجه هيكتور الى الخارج لتنظيف الزجاج المحطم.

لقد انتهى كل شيء بسرعة قبل ان تحس صوفي بالذعر الحقيقي. لكن وبعد ان هدأ الجميع، تدفق الهلع الى جسمها ترافقه افكار عن عبثية الحياة وعدم جدواها في مثل هذه اللحظات المصيرية، اذ كان

من الممكن ان يكون الزلزال اقوى واطول، وبالتالي الخسائر اكثر فداحة. لكن الله ترفق بعباده هذه المرة.

ظلت السيدة في فراشها طيلة النهار، وتناولت صوفي طعام العشاء وحيدة، ثم جلست في غرفة الاستقبال تستمع الى بعض الموسيقى الكلاسيكية الخفيفة وهي تفكر في احداث النهار. رن جرس الهاتف فجأة، فرفعت صوفي السماعة وهي تتوقع ان تكون احدى صديقات السيدة تتصل للاستفسار والاطمئنان لكن صوت اليكس جاء قوياً منفعلاً:

- صوفي؟

ردت بسرعة:

- ان الاوضاع هنا جيدة.

قال بلهفة:

- لقد علمت الآن بواسطة التلكس من اثينا. فماذا حدث بالضبط؟

- لا شيء يدعو للقلق، مجرد زلزال بسيط.

- هل هي موجودة؟ دعيني اتكلم معها.

قالت برقة:

- انها نائمة الآن. لقد طلبت منها ان تظل في الفراش طيلة اليوم بعد الذي حصل.

خيم الصمت للحظات ثم قال:

- شكراً لك. هل خفت من الزلزال؟

- ليس لحظة حدوثه، لكن التفكير فيه ارعبني بعد ذلك.

- وهل اصيبت بأي اذى؟

- لم يصب احد ما. فقط تحطمت بعض القرميدات وبعض الواح الزجاج. وحده هيكتور كان غاضباً.

ابتسم وهو يقول:

- انني افهم سبب غضبه (ثم اضاف بعد لحظات) هل ايقظتك

من النوم؟

- لا، كنت صاحية.
- وماذا تفعلين؟

نظرت صوفي الى السماعة باستغراب لانها لم تتوقع منه ان يواصل الحديث معها، ثم قالت:

- استمع الى الموسيقى.
- وماذا تستمعين الآن؟
- الا تسمعها عبر الهاتف؟ انها اسطوانة يونانية جديدة احضرتها والدتك قبل ايام.
- هل تحبين الموسيقى اليونانية؟

ردت بصوت ضاحك:

- احب كل ما هو يوناني!

همس اليكس بصوت رقيق:

- لقد نسيت شيئاً مهماً.
- سألته باستغراب:
- ما هو؟
- انا يوناني ايضاً.

شعرت صوفي بالاحراج الشديد، واطلقت تنهيدة قوية لا شك انها وصلته واضحة وجلية. قال لها بعد لحظات:

- تصبحين على خير يا صوفي.

اغلق الخط، وجلست صوفي تحدق بسماعة الهاتف. يا له من رجل غريب. يلجأ للمغازلة في كل المناسبات. لعله لا يستطيع ان يقاوم نفسه امام النساء الجميلات. ولكن لماذا تأثرت بصوته الدافيء في ختام المكالمة الهادئة؟

اتصل اليكس مرة ثانية عند الصباح وسألها وكأنه عرف تأثير مكالمته عليها امس:

- هل نمت جيداً يا صوفي؟

تهربت صوفي من الاجابة قائلة وهي تسلم السماعة لوالدته:

- ها هي السيدة ليفكاس، تكلم معها ارجوك.

تحدثت السيدة العجوز بمرح مع ابنها. قالت له:

- الجو ما زال حاراً جداً. ولكن لا اظن انه ستحدث مشاكل مرة ثانية (ثم اضافت بعد صمت) هذا كلام غير معقول يا اليكس.

استمعت السيدة بقلق وتوتر الى الكلام الذي كان يقوله لها ابنها، ثم اختتمت حديثها قائلة:

- حسناً، سأفكر في الأمر... نعم، نعم، سأفكر جداً بالأمر يا اليكس واعدك ان اتصل بك غداً... ماذا؟ تتصل بي انت؟ حسناً... الى الغد.

وضعت سماعة الهاتف وسألت بصوت هادىء:

- هل انت مشتاقة الى لندن يا صوفي؟

هزت صوفي رأسها بالنفي وابتسمت بلطف، فتابعت السيدة كلامها قائلة:

- اليكس يشعر بالقلق من حدوث زلزال اخر. اذ عادة ما تحدث هزات اقوى بعد الهزات الأولى الخفيفة. وهو يريدني ان اترك كريت لمدة اسبوع او اسبوعين حتى تتضح الأمور (ثم اضافت ضاحكة) هل تعتقدين ان بامكانك تحمل بضعة ايام في لندن؟ ربما قمت هناك بزيارة لبعض افراد عائلتك.

تقلص وجه صوفي متوتراً، لكنها قالت:

- القرار يعود اليك يا سيدة ليفكاس.

تأملت السيدة في وجهها وقالت:

- حسناً، سنرى! لقد كنت سعيدة جداً هنا يا صوفي، أليس كذلك؟
- انت تعرفين ذلك تماماً، فانا احب كريت.

علقت السيدة بلطف:

- ومع ذلك اعتقد اننا بحاجة لتغيير الجو. ونستطيع في لندن زيارة

سوق ومشاهدة مسرحية جديدة، او ربما حضور حفلة موسيقية.
لندن ستكون فرصة للراحة لنا جميعاً.
لم تكن صوفي متحمسة للفكرة، لكنها مجبرة على مرافقة السيدة
ليفكاس في حلها وترحالها. وهكذا، جاءت طائرة الهليكوبتر بعد
يومين لتقلهما الى اثينا ومنها الى مطار لندن حيث وجدتا سيارة خاصة
بانتظارهما اخذتهما الى الشقة الخاصة بالعائلة في عاصمة الضباب.
على الفور توجهت السيدة منهكة الى غرفة نومها، في حين تناولت
صوفي عشاء خفيفاً وغيرت ملابسها ثم استلقت على الاريكة تفكر في
ما اذا كانت ترغب في زيارة اهلها في لندن كما تصر السيدة ليفكاس،
لكنها تعرف تماماً خطورة مثل هذه الخطوة. ان ذهابها الى البيت يعني
ان تراه وتسمع صوته وبالتالي المخاطرة في ما لا يمكن توقعه.
خلال هذه الاشهر استطاعت ان تنساه تقريباً... لكن الله
وحده يعلم ما الذي سيحدث اذا ما رأته مرة اخرى بعد هذه الغيبة
الطويلة.
وفجأة استفاقت صوفي من احلام اليقظة على صوت حركة عند
الباب، فوجدت اليكس واقفاً هناك يتأملها وبسمة ساحرة على
وجهه. التفتت بذعر ولملمت اطراف قميص النوم بسرعة. لم تذكر
لها السيدة ليفكاس ان اليكس سيأتي لزيارتهم. هل كانت تعرف
ذلك؟ وقبل ان تنهض اقترب منها ووضع ذراعيه على كتفها وقال
برقة:
- لا، لا تتحركي... كان يبدو عليك الارتياح الشديد.
سألته بشك:
- هل تعلم السيدة ليفكاس انك هنا؟
جلس الى جوارها وقال:
- لقد قلت لها انه من المحتمل ان امر لزيارتكم.
قطبت صوفي جبينها دون ان تجيب. لماذا لم تبلغها السيدة بهذا
الامر؟

سألها اليكس:
- هل كانت الرحلة مريحة من اثينا؟
اجابت صوفي وهي تفكر بطريقة للتخلص من هذا الموضوع
المزعج ومن عينيه اللتين تحدقان بها بتأمل وامعان:
- نعم، والسيدة ذهبت للنوم فور وصولنا.
سألها وهو يمد يده الى شعرها الذهبي مداعباً:
- الم تتعبي من الرحلة؟
قالت بسرعة وكأنها تريد التخلص منه:
- نعم، انا فعلاً متعبة ويجب ان اخلد الى الفراش.
وعندما نهضت، وقف قبالتها واحتضنها بين ذراعيه بقوة...
فوجدت حالها عاجزة عن الافلات من قبضته القوية.
صرخت فيه وهي تحاول الافلات:
- دعني فوراً.
سألها بتوتر:
- الى اين تهربين؟
قالت بصوت متحشرج:
- انا لا اريدك ابداً.
رد بقسوة:
- لا يمكن ان تتركيني الآن.
- انا آسفة.
صرخ هائجاً:
- آسفة؟ هذه عملية مدبرة تماماً. هل تعتقدين انني لا اعرف كيف
تسير الامور؟ تريدين ان تأسريني وتتركيني اطاردك دون جدوى...
ولكنني لن اتركك الآن.
صرخت بحدة:
- ارفع يديك عني فوراً.
لكنه لم يتحرك. وادركت صوفي ان عليها التصرف بحكمة وروية

مع هذا الرجل المتوحش. قالت:
- عرضت علي في ما مضى ان اذهب الى نيويورك؟
ارخى اليكس يديه عنها وقد فاجأه هذا السؤال، وقال:
- وماذا يعني ذلك؟
قالت صوفي:
- شقة في نيويورك.
علق بلا مبالاة:
- اذا كان هذا ما تريدينه فليكن.
ابتعدت عنه بهدوء كي لا تثير شكوكه، واضافت:
- وماذا ايضاً؟
صرخ بحدة:
- ماذا تريدين ايضاً ايتها الملعونة؟
ردت بهدوء:
- سيارة.
اطلق تنهيدة ملل وقال:
- حسناً، حسناً، كل ما تريدين.
- والآن لنشرب نخب اتفاقنا.

وعندما التفت لاحضار ابريق العصير الموضوع على طاولة مجاورة، كانت صوفي قد اصبحت في غرفة نومها الملاصقة لغرفة السيدة العجوز. ومع ان ليفكاس لحق بها الى هناك، الا انها كانت مطمئنة الى انه لن يجرؤ على فعل اي شيء يمكن ان يوقظ والدته في وقت متأخر. ولذلك قالت له ضاحكة:
- تصبح على خير يا سيد ليفكاس.
صرخ بصوت خافت:
- ما هذه اللعبة الجديدة بحق السماء؟
رفعت صوفي صوتها قليلاً:
- للمرة الأخيرة يا سيد ليفكاس انا لست راغبة فيك. ولا يمكنك

ان تشتريني ابداً. جوابي هو لا . . . فهل تريد ان اصرخ به كي يسمعه كل الناس؟
- هل تريدينني ان ارفع الثمن؟
قالت بغضب وانفعال:
- الثمن؟ انت تدفع ثمناً لكل شيء ولكنك لا تعرف قيمة اي شيء! اليس كذلك؟ انني لست للبيع.
صرخ بها:
- ولماذا كنت تساومينني قبل لحظات؟

في هذه الاثناء فتح باب غرفة نوم السيدة العجوز التي اطلت عليهما مما اربك صوفي وجعلها تهرب الى غرفتها، بينما احمر وجه اليكس خجلا وهو يسمع كلام امه:
- اليكس ما الذي يجري؟ لماذا كنت تصرخ على صوفي؟ ماذا كنت تفعل؟
تمتم اليكس بانفعال ثم غادر المكان قائلاً:
- عليها اللعنة!

وقفت صوفي في العتمة مضطربة وهي تفكر في السهرة التي انتهت الى ما انتهت اليه. كيف سمحت لنفسها ان تنجر الى هذا الموضوع؟ وكيف ستواجه نظرات الوالدة وابنها غداً؟ وظلت تطرح الاسئلة الحيرى على نفسها الى ان جاءها ملاك النوم فأغفت في وقت متأخر من الليل.

ذهلت صوفي عندما فتحت عينيها في صباح اليوم التالي واكتشفت ان الوقت متأخر. نهضت بسرعة واغتسلت وارتدت ملابسها، ثم ذهبت الى غرفة الطعام. وعندما سألت عن السيدة الكبيرة قيل لها انها تركت الى السوق باكراً، وهي تطلب منها ان تأخذ يوم عطلة لقضائه كيفما تشاء.

تناولت صوفي طعامها بهدوء وهي تفكر في احداث الليلة الماضية. وعندما انتهت توجهت الى الخارج دون ان يكون لديها

مشروع مجدد لبقية النهار. وعلى حين بغتة وجدت نفسها وجهاً لوجه امام اليكس الذي قال لها بصوت قاس:
ـ ادخلي الى مكتبي.
ترددت وهي تشعر بالارتباك والضياع، فعلق قائلاً:
ـ تفضلي، فانا لست من اكلة لحوم البشر.
دخلا معاً، ثم جلس هو الى مقعده الوثير. بينما ظلت صوفي واقفة تتطلع الى المجدرة الحيضة. لكنه قال بهدوء:
ـ لقد طلبت امس انا اتفقنا، ثم في لحظة تغير كل شيء، لماذا؟
اتجهت صوفي صوب النافذة وسرحت بنظرها الى الخارج للحظات طويلة دون ان تلتفت اليه:
ـ ظني اني كنت متعبة بسبب اختلاف الوقت بين اثينا ولندن. ولا اعتذر عن اي انطباع خاطيء اخذته عني.
سألها بحدة:
ـ ولكن لماذا ساومتني كثيراً؟
ردت بحدة:
ـ لان تلك كانت الفكرة الوحيدة التي خطرت لي للهرب منك.
نهض اليكس واقترب منها قائلاً بصوت عميق هادئ:
ـ اني اريدك يا صوفي.
صرخت غاضبة:
ـ لا... لا اريدك.
تمتم صارخاً:
ـ لا استطيع ان اتزوج يا صوفي... ابداً.
التفتت اليه وقد دهشتها عبارته:
ـ لم اطلب منك ذلك.
تابع بحدة:
ـ انت تنتظرين ذلك، اليس كذلك؟ عليك ان تري الامور من منظار اعلى. فهم يريدونني ان اتزوج فتاة يونانية غنية يختارونها هم

لي. وبالفعل هناك خياران امامي الآن، وامي ستقرر الخيار النهائي. (وعندما لاحظ نظرتها الساخرة تابع بقول) ارجوك ان تستمعي الي...
قاطعته بلا مبالاة:
ـ لن استمع الى اي شيء آخر. الا تدرك انك تهينني بعرضك هذا؟ انا لا اباع ولا اشترى، انا امرأة ولست سلعة للاستهلاك!
اقترب منها وقال بلطف:
ـ انا واع تماماً لذلك.
صرخت بحدة:
ـ ابتعد عني ارجوك.
وضع يده على ذراعها وقال:
ـ عندما سمعت عن الزلزال لم اقلق على امي فقط... لقد خفت عليك ايضاً. وعندما سمعت صوتك تلك الليلة شعرت بفرحة طاغية. لم الحظ من قبل كم انا متعلق بك.
سحبت ذراعها من يده قائلة:
ـ انك تريدني، لكن ماذا بعد ان تمل مني؟ هل ستحولني الى موظفة ادارية في امبراطوريتك الواسعة؟
ـ ارجوك، لا ضرورة للصراخ.
تابعت هجومها قائلة:
ـ فلتسمع الخادمة وغيرها. لماذا لا تفتح الباب؟ لماذا لا تترك بعض الصدق يدخل الى نفسك؟ اذا كنت تظن عرضك سيئاً فلماذا تجرؤ وتطرحه علي؟
رد بغضب مكتوم:
ـ انك تجعلين الامور تبدو سيئة. انني لا اعتبرك كأي امرأة اخرى.
استمرت صوفي في هجومها العنيف:
ـ بل تعتبرني مثلهن، وعرضك اكبر دليل على ذلك.

اندفع نحوها وهو يقول محاولاً تخفيف حدتها:
- انك متوترة ... حبيبتي...
ابعدته عنها بقسوة وقالت:
- لا تناديني يا حبيبتي. اياك ان تقترب مني بعد الآن...
ثم اندفعت خارجة والدموع تنهمر على وجنتيها المضرجتين بحمرة الانفعال. بينما ظل اليكس واقفاً في مكانه وقد عقدت الدهشة لسانه.

٥ - الاعتذار المتأخر

امضت بقية نهارها في لندن وهي تشعر بأنها على وشك الانفجار بالبكاء في كل لحظة. لقد عاشت منذ مدة طويلة في فراغ عاطفي، تحيا على ذكرى هي اشبه ما تكون بالمخدر الذي جعلها تصل الى حد الادمان دون ان تجرب الخلاص منها. لم يستطع اي رجل من قبل ان يخترق حواجزها النفسية. وعلى الرغم من مشاعر الألم الدفين التي كانت تعتريها، الا انها وجدت في حياة العزلة عن الناس نوعاً من الهدوء الغريب.

في الليلة الماضية واليوم استطاع اليكس ليفكاس ان يخترق حواجزها. كان الاحتكاك مؤثراً، بحيث ان عقلها القوي لم يستطع ان يضبط عواطفها. ومع ذلك فهي تحتقره لأنه يحاول ان يختار بين امرأتين وكأنه يلعب بالقرعة، في الوقت الذي يحاول فيه شراء امرأة ثالثة.

لكن هل ينظر اليها هكذا فعلاً؟ لا شك انه يفعل. كيف يجرؤ على تقديم ذلك العرض المهين بكل وقاحة؟ من يظن نفسه؟ بل ماذا يظن فيها؟ من الواضح انه يعتقد بأنها تحاول اصطياده للزواج منها. تتزوج اليكس ليفكاس؟ مستحيل، فقط فتاة حمقاء عمياء هي التي ترضى برجل لا يعرف معنى الامانة والوفاء، ولا يعرف كيف يعامل امرأة كانسان سوي.

ركزت صوفي ذهنها كي تبعد افكارها عنه، وتنهي شراء بعض

الاغراض التي هي بحاجة اليها. ما حدث بينها وبين اليكس احرجها بشكل لم تجد له تفسيراً. ومع انها اقنعت نفسها بكرهه واحتقاره، فقد شعرت بالارتياح لان اليكس لم يكن هناك. سألتها السيدة ان كانت قد امضت نهاراً جيداً، فكذبت بهزة ايجابية من رأسها.

قالت العجوز:

ـ ماذا كان يحدث ليلة امس يا صوفي؟

ردت صوفي بهدوء وكذبت مرة اخرى:

ـ خلاف بسيط يا سيدتي... كالعادة.

حدقت فيها السيدة ليفكاس مطولاً، ثم قالت:

ـ بسيط؟ لقد كان اليكس على حافة الجنون امس.

احمر وجه صوفي خجلا وهي تجيب:

ـ افضل ان تسألي ابنك يا سيدتي.

هزت السيدة رأسها ببطء وقالت:

ـ لقد فهمت.

وهي تفهم بالفعل. انها تعرف ابنها اكثر مما تعرفه اية امرأة اخرى. لقد كانت تقرأ اخبار مغامراته في الصحف، بل وكثيراً ما حدثت صوفي عنها. لكنها ردت بهدوء:

ـ يجب ان تزوري عائلتك خلال وجودك في لندن يا صوفي. اذهبي غداً وامكثي المدة التي ترغبين فيها. وعندما اقرر الرجوع الى كريت سأتصل بك.

هزت صوفي رأسها وهي تشعر بالاضطراب. لن تستطيع ان ترفض، والا اثارت شكوك السيدة الكبيرة وتساؤلاتها. ليس امامها اي خيار، لقد اتخذت السيدة القرار عنها ولم يعد لديها مجال سوى التنفيذ. وصوفي تعرف لماذا تريدها العجوز ان تبتعد عن الشقة لعدة ايام. وفجأة فاجأها سؤال:

ـ هل تحبين اليكس يا صوفي؟

استغربت صوفي السؤال وغالبت ضحكة عالية لتقول:

ـ على الاطلاق يا سيدتي... ابداً.

حدقت فيها السيدة مطولاً، ثم قالت بفتور:

ـ حسناً... حسناً.

لم يظهر اليكس تلك الليلة في الشقة. ونامت الامرأتان باكراً استعداداً لنشاط واسع في صبيحة اليوم التالي. وبالفعل استيقظت صوفي مبكرة وحزمت امتعتها وودعت السيدة بعد ان اعطتها عنوان بيت اهلها. عانقتها السيدة بحنان قائلة:

ـ اهتمي بنفسك يا صوفي.

ردت صوفي قائلة:

ـ وانت كذلك يا سيدة ليفكاس، واتمنى ان تقضي وقتاً ممتعاً في لندن.

في الطريق الى المحطة كانت صوفي تراقب زحمة ساعة التوجه الى العمل. لم تكن هذه الصور غريبة عليها، لكنها اليوم ذات طابع خاص. وصلت الى محطة شيرينغ كروس واخذت القطار المتوجه الى خارج لندن حيث تقطن عائلتها في منطقة ريفية جميلة.

مضى عليها زمن لم تزر خلاله البيت. كانت الرسائل المتبادلة مع اهلها اشبه ما تكون بالتقارير الرسمية عن اوضاع العمل والظروف الصحية وغيرها. ولقد اتصلت بامها امس لتبلغها بنبأ قدومها، لكن الحديث لم يكن طويلاً لأن الأم كانت مدعوة الى حفلة خيرية... على امل ان تتحدث العائلة طويلاً بعد وصول صوفي اليوم.

الحقيقة ان صوفي لا تملك شيئاً للحديث. لقد خبأت هذا الحب في صدرها لسنوات دون ان يدري به احد. كان من السهل عليها ان تخدع اهلها، وما زال الامر سهلاً حتى الآن. كم ارادت ان تخبر الجميع عن حقيقة مشاعرها المتدفقة، غير ان ذلك كان مستحيلاً لاسباب عديدة. وهكذا وجدت ان الخداع اصبح نمطاً معتاداً في

حياتها، واصبحت بالتالي تضع قناعاً على وجهها الحقيقي امام الناس. يسألونها دائماً: هل احببت في حياتك؟ او يقولون: يوماً ما سيأتي فارس الاحلام يا صوفي؟ وهم لا يدرون عمق الجرح في صدرها... ومع ذلك تهز كتفيها بلا مبالاة قائلة

اطلت مشاهد الريف الساحر ببيوته المألوفة، وسهوله المسيجة بشجر البلوط، وفيها الابقار ترعى بهدوء وسكينة. وعندما انزلها التاكسي امام البيت، كادت تتعثر وهي تجر خطاها متثاقلة... وتتمنى ان يكون والداها لوحدهما في البيت.

وحالفها الحظ فعلاً. قابلها والداها بترحاب وعناق، وتعليقات خفيفة عن اسمرارها... ثم ادخلاها الى غرفة الجلوس. انهما يحبانها بصدق وهي تحبهما ايضاً. كانت تكره ان تبتعد عنهما كثيراً، وتكره اكثر ان يظنا انها لا تكترث بهما.

علقت والدتها ضاحكة:

- ثيابك انيقة جداً.

سألها والدها:

- كيف تشعرين بالعيش مع الاغنياء؟ كيف هي السيدة ليفكاس في الواقع؟

وسألتها امها:

- هل اليكس ليفكاس فارس النساء كما يقولون في الصحف؟

ردت صوفي بلطف:

- السيدة طيبة القلب جداً... اما اليكس فهو دون جوان حقيقي!

نظرت اليها امها وسألت:

- وهل هو وسيم يا حبيبتي؟

عرفت صوفي معنى سؤال امها، فأجابت ضاحكة:

- ليس بالنسبة الي يا امي.

ضحك والدها بسرور وقال:

- لقد كانت محتارة بين الخوف عليك منه وبين رغبتها في ان تكون حماته!

اعترضت الأم متضاحكة:

- لم اكن هكذا ابداً... انت تبالغ.

سألت صوفي بشكل طبيعي:

- كيف حال الجميع؟

رد والدها بهدوء:

- كلهم بخير. باتسي تعمل خلال الاجازة بين الفصول الدراسية في الجامعة وستكون في البيت بعد قليل.

قالت الوالدة:

- العمة دافني اجرت جراحة في اصبع قدمها.

سألت صوفي مرة اخرى وهي تهرب من السؤال الأساسي الذي يدور في ذهنها:

- وهل هي بخير الآن؟

رد والدها:

- اجل. كما وان ماري وضعت مولوداً.

اعقبت والدتها قائلة:

- انها طفلة حلوة، ولكنها ورثت انف جورج الطويل.

اطلقت صوفي ضحكة صفراء، وقالت:

- كيف حال جورج؟

اجابها ابوها:

- بحالة جيدة. الين ذهبت قبل قليل، سيمون يأمل ان تكون قد تعافت. آه، هل اخبرتك ان جيراود اشترى سيارة جديدة، ولكنه حطمها في اليوم الأول من قيادتها؟

سألت صوفي وقد شحب وجهها وهي تحاول جاهدة ان تضبط اعصابها:

- هل اصيب بمكروه؟

قال والدها:
- كسر يده وبعض ضلوعه. جيرارد هو اسوأ سائق عرفته في حياتي.
علقت والدتها بابتسامة عريضة:
- يجب على كيت ان تسوق عنه.
سالت صوفي:
- وكيف حال كيت؟
رد الاب بهدوء:
- انت تعرفين كيت.
هزت صوفي رأسها بلطف:
- اجل. هل استطيع الآن ان ارتب حقائبي؟ انني بشوق لمشاهدة غرفتي. لقد نسيتها تقريباً بعد هذه المدة.
علق والدها بجفاء:
- طويلة جداً... جداً.

صعدت صوفي الى غرفتها، وتوجهت على الفور الى النافذة تسرح نظرها في الحدائق والسهول الممتدة امامها. الى الشمال قليلاً يقع البيت الكبير الذي كان يسحرها وما يزال، محاطاً باشجار البلوط والنباتات المزهرة. كانت الحقول تمتد حتى حدود الغابات الكثيفة، وقد اكسبها فصل الصيف جمالاً اخاذاً زادته سحراً اشعة الشمس الساطعة في هذا اليوم البديع.

اخرجت صوفي فساتينها من الحقيبة وعلقتها في الخزانة. وقد توقفت طويلاً امام فستان هو اغلى ما امتلكته طيلة حياتها. وتذكرت كيف ان السيدة ليفكاس اصرت على شرائه رغم ان صوفي نفسها اعترضت على سعره الباهظ. ولكن لماذا احضرته معها في هذه الزيارة؟ اكتفت صوفي برسم ابتسامة ساخرة. كان من الخطأ ان تفكر في ارتداء هذا الفستان امامه، فلعل ذلك يثير المشاكل التي ظنت انها انتهت. غير انها تتوق الى نظرة منه ولو لثانية واحدة... يجب عليها

ان لا تفكر بهذا الاسلوب. لماذا يصعب عليها ان تنساه؟ تدور في دوامة لا تنتهي، وتعيش حياة يائسة، وقادرة على فعل المستحيل للهرب منه... ولكن نظرة واحدة منه تعيدها الى اعماق الضعف واليأس.

فكرت انها فعلت المستحيل. غابت عنه لأشهر عديدة، طردت خياله من افكارها وذاكرتها. وظنت انها نجحت في التخلص منه. غير انها تجده الآن كالمارد يخرج من قمقم هجرانها وهروبها. من الصعب ان تقتل هذا الشعور!

انقذها من افكارها قرع خفيف على الباب، فالتفتت بتوتر وقالت:
- ادخل.
اطل رأس اختها الضاحك، المطرز بالنمش، فصاحت صوفي:
- باتسي.
عانقتها بحنان وشوق، ثم وقفت تتأملها. لقد نضجت بالفعل خلال السنة الماضية. كانت فتاة صغيرة الحجم قوية البنية، لها جديلتان طويلتان بنفس لون شعر اختها.
قالت باتسي:
- اشعر ان علي الانحناء امام سيادتك!
ردت صوفي بحنان:
- ما هذا الكلام السخيف.
- تصوري فقط انك تعيشين مع اباطرة المال الغارقين في ملذاتهم ومتعهم.
وفكرت صوفي بردة فعل باتسي لو انها تعرف ان ذلك حقيقي بالنسبة لاليكس على الاقل. لكنها ردت:
- للمعلومات فقط، انا اعمل مع والدته وليس معه.
قالت باتسي بابتسامة طفولية:
- دعك من هذا، فلا شك انه يزور امه بين الحين والآخر.

- نادراً ما يزورها. ان نيويورك بعيدة جداً عن كريت، بحيث لا يستطيع ان يأتي يومياً للعشاء!

ردت باتسي بحزم:

- لا تحاولي قتل اوهامي. كل اصدقائي في الكلية يموتون حسداً. كلهم يعرفونني بانني الفتاة التي تعيش اختها مع اليكس ليفكاس. وانا آمل ان اعود بعد الاجازة بمعلومات مأخوذة من عرين الأسد! والآن قولي لي: هل هو وسيم كما يظهر في الصور دائماً؟

هزت صوفي كتفيها بلا مبالاة:

- اعتقد انه وسيم.

صرخت باتسي محتجة:

- لن تستطيعي خداعي. هذه اللامبالاة لا يمكن ان تكون حقيقية... من المؤكد انه ساحر في جميع تحركاته!

ضحكت صوفي بصوت هستيري قائلة:

- بل هو ساحر بكل ورقة نقدية تخرج من جيوبه (ودون ان تهتم بدهشة اختها تابعت تقول) الحقيقة انني لا اعرفه جيداً. لم يأت الى كريت منذ وصولي اليها سوى عدة مرات. وفي المرة الأخيرة احضر معه مجموعة من الاصدقاء.

سألتها باتسي بلهفة:

- وهل كان بينهم اناس مشهورون؟

- لم اسمع باسم اي واحد منهم من قبل.

صرخت باتسي بنفاد صبر:

- آه منك. كيف يمكنك العيش مع اناس مشهورين دون ان تعرفي الكثير عنهم؟ وماذا عن علاقات اليكس العاطفية؟ هل قابلت احدى نسائه؟

ردت صوفي بلا مبالاة وهي تستعيد ذكريات تلك السهرة:

- واحدة فقط، كانت متيمة به. ولكني اعتقد انه لا يبادلها ادنى شعور.

تابعت صوفي تساؤلاتها بشوق:

- شيء غير معقول. انني افكر بالطريقة التي حصلت بها على هذه الوظيفة. هل تجدين العمل مع عائلة ليفكاس مثيراً يا صوفي؟

اجابت صوفي بابتسامة دافئة:

- السيدة الكبيرة رائعة وطيبة القلب. انها واحدة من الطف النساء اللواتي عرفتهن في حياتي.

نظرت باتسي الى اختها وقالت:

- وهل تقصدين من كل كلامك انك لست مفتونة باليكس ليفكاس؟

هزت صوفي رأسها علامة الايجاب قائلة:

- لا ابداً. هو ليس بالسحر الذي يبدو عليه في الصحف! انه يعمل اكثر بكثير مما يتصورون، كما وانه اقسى في الحقيقة.

قالت باتسي مغيرة الحديث:

- انني سعيدة لوجودك معنا يا صوفي. امي وابي يفتقدانك كثيراً، وعليك ان تزورينا اكثر مما تفعلين الآن.

تجاهلت صوفي تعليق اختها وقالت بصوت حنون:

- احاول ان اكتب الرسائل كلما سنحت لي الفرصة.

- امي تنتظر استلام رسائلك بشوق، خاصة بعد ان بدأت العمل عند عائلة ليفكاس. لقد اعطاها ذلك مكانة خاصة بين الجيران، بالرغم من انهم يحاولون بين الحين والآخر اطلاق التعليقات الخبيثة (ثم ضحكت وهي تقول) هل ننضم الآن الى باقي افراد العائلة؟

ردت صوفي:

- نعم، انا هنا في اجازة. هل حدثتك عن الزلزال؟

هزت باتسي رأسها قائلة:

- امي ذكرت الموضوع امامي. فما الذي حدث بالفعل؟

توقعت صوفي ان تكون اسئلة باتسي عن اليكس قد انتهت. لكنها اكتشفت مع الوقت خطأها. فجميع الذين التقت بهم كان

يبدو عليهم الانبهار باخبار اليكس المنشورة في الصحف، ويتوقعون معرفة المزيد من السكرتيرة التي تعمل مع امه. . . خاصة فيما يتعلق بعلاقاته النسائية.

استمر الطقس الحار يخيم على منطقة كنت الريفية. وفي ذات يوم استلقت صوفي في حديقة المنزل تفكر بأفراد العائلة الذين لم ترهم منذ قدومها البيت. كانوا جميعاً من قرابة بعيدة وعلاقاتهم مع عائلة ابيها تقتصر على الرسميات. . . الا ان والدها كان فخوراً جداً بهذه الصلة. كانت ايفلين ابنة عم من الدرجة الثانية، وكان زواجها من صاحب البيت المجاور هو الحديث المثير لوالدتها، التي لم تدخل قط الى البيت قبل دعوة العرس.

تذكرت صوفي شيئاً جعلها ترتجف رغم حرارة الشمس. امس شاهدت الرجل الذي تحب وهو يعبر بسيارته المسرعة من امام البيت. شاهدت جانب وجهه فقط ولثوان معدودة. . . لكنها كانت كفيلة باشعال نيران قلبها من جديد. انها بحاجة لرؤيته عن كثب وعادته طويلاً. الصورة لم تتلاشى من نفسها، رغم محاولات الكبت المستمرة.

سمعت قرع جرس الباب الخارجي. نهضت لتسأل من الطارق باعتبار ان جميع افراد العائلة كانوا في الخارج. وعندما فتحت الباب لم تتمالك نفسها من الصراخ بصوت عال:

ـ انت ماذا تريد؟

وضع اليكس ليفكاس يديه على اطار الباب وكأنه يريد منعها من اغلاقه وقال بهدوء:

ـ اوصلت والدتي الى عند احدى صديقاتها في منطقة تيبريدج المجاورة. وفي الطريق فكرت ان امر لزيارتك.

بدت علامات الاستغراب على وجهها وهي تقول:

ـ لكن تيبريدج ليست مجاورة لنا؟

قال بحدة:

ـ لا داعي لمجادلتي يا صوفي. الحقيقة انني جئت لزيارتك.

تضرج وجهها بحمرة الخجل وقالت:

ـ لا اريد ان ادخل معك في نقاش. فقط ارجوك ان تذهب.

حدق فيها بعينين قاسيتين، وقال بابتسامة ساحرة:

ـ الا تريدين ان اتعرف الى اسرتك؟

هزت رأسها دون ان تبتعد عن طريقه:

ـ افضل ان تذهب على الفور يا سيد ليفكاس.

قال بسخرية:

ـ لماذا تستمرين في مناداتي بشكل رسمي؟ لقد تجاوزنا هذه المرحلة منذ مدة.

خيم صمت ثقيل للحظات، كان اليكس خلالها يتأمل فستان صوفي الازرق الانيق، ثم قال:

ـ تبدين جميلة جداً يا صوفي. ان ذوقك رائع وكل شيء ترتدينه يبدو وكأنه صنع خصيصاً لك.

تمتمت صوفي وهي تفكر بسبب مجيئه الى بيتها:

ـ ارجوك اذهب. . . ارجوك.

لكنه رفعها بين يديه فجأة وادخلها الى الردهة ثم انزلها بعد ان اغلق الباب. صرخت فيه بحدة:

ـ اخرج فوراً.

اتكأ على الباب قائلاً:

ـ اريد التعرف الى والديك.

اعترفت مكرهة:

ـ انهما في الخارج. لكن هذا لا يعني. . .

رفع اصبعه الى فمها واسكتها قائلاً:

ـ لم آت الى هنا لاعيد عرضي السابق يا صوفي.

سألته بنبرة استغراب:

ـ لماذا اتيت اذن؟

اجابها بجدية ورصانة:
ـ لقد ازعجني بكاؤك في المرة الأخيرة. بكاؤك جعلني اشعر بأنني حقير جداً.
علقت بحدة:
ـ ألست كذلك فعلاً؟
هز رأسه باذعان وقال:
ـ استحق ذلك، مع ان احداً لم يتجرأ على الكلام معي بهذا الشكل من قبل. لقد وضعت امامي مرآة صادقة وارتني وجهاً لم اره من قبل... والحقيقة انني لم احب ما رأيت.
تمتمت بصوت خفيض:
ـ ولا انا ايضاً.
قال غاضباً:
ـ حقاً؟ انا آسف يا صوفي. وها قد جئت كي اعتذر وارضيك. لقد تصرفت بحقارة معك. لكن تجاربي مع النساء الاخريات علمتني ان لكل شيء ثمناً.
قالت بحدة:
ـ اذن تجاربك محدودة جداً.
رماها بنظرة نارية وتابع يقول:
ـ الحقيقة ان تجاربي اوسع من تجاربك للأسف. لقد تعلمت ان الانسان يستطيع شراء معظم الاشياء ومعظم الناس. والحياة مليئة بالنساء المستعدات لقبول العرض.
ردت بهدوء:
ـ لكنني لست واحدة منهن.
قال بارتياح واضح:
ـ لا، لست منهن. ولأكن صريحاً معك... فقد كنت اتمنى ان تكوني مثلهن.
نظرت صوفي اليه بانفعال وصاحت:

ـ اياك ان تضيف كلمة اخرى بعد.
رد بصوت دافىء يحمل معان عديدة:
ـ انت جميلة جداً يا صوفي.
قالت بصوت حاد:
ـ لا اريد ان تعيد الكرة من جديد.
صرخ بنفاد صبر:
ـ اني احاول فقط ان اجد الاعذار لنفسي. اعرف ان سمعتي تعطي الانطباع بأنني رجل دون جوان، لكن الحقيقة ان الوقت لم يعد يسعفني الآن. كنت في الماضي صاحب علاقات متعددة، اما الآن فان عملي يستغرق معظم وقتي... ولم اعد زير النساء الذي تسهب الصحف في وصفه.
ابعدت صوفي عينيها عنه وصاحت:
ـ لست مهتمة بسماع تفاصيل حياتك.
همس وهو يقترب منها:
ـ لا تغضبي يا صوفي. لست فخوراً بحياتي السابقة، ولكنها الحقيقة المجردة. انا رجل احب رفقة النساء، وهن يرغبن في اموالي. وهذه معادلة ناجحة في كثير من الأحيان.
تمتمت صوفي بصوت متشرج:
ـ انا متأكدة من ذلك. لا اريد ان اسمع المزيد. ارجوك اخرج ودعني وحدي.
سألها ويده تلامس ذراعها:
ـ كيف كان باستطاعتي ان اعرف انك لست مثلهن؟
سحبت يدها بحدة:
ـ لقد ابلغتك ذلك بوضوح.
علق اليكس بقسوة:
ـ اعتقدت ان ذلك جزء من الممانعة غير الجدية. على فكرة، ربما احببت ان تعرفي ان والدي عنفني بشدة تلك الليلة. لقد هددني

بأنها ستحيل حياتي جحيماً اذا ما تسببت تصرفاتي برحيلك عنها.

ارتاحت تعابير وجه صوفي وهي تقول:

ـ انا احب والدتك.

ـ وانا احبها ايضاً.

هزت رأسها علامة الايجاب وقالت:

ـ الاحظ ذلك.

ـ هذا شيء واحد نشترك فيه.

ـ بل هو الشيء الوحيد.

ـ لا تكذبي يا صوفي.

احتقن وجهها خجلاً وغضباً وقالت:

ـ اكذب؟

ـ انت تعرفين انك معجبة بي ايضاً. ولهذا السبب جئت لرؤيتك. لقد اجبرتني على الاعتراف بما كنت اظن انني اعرفه منذ مدة طويلة. هذه المرة الامر مختلف، وانت تدركين ذلك كما ادركه انا تماماً. لقد اجبرتني على ان انظر الى نفسي نظرة جيدة وحازمة (ثم اضاف بعد صمت) قالت امي انني اشبه بالهندي اللئيم الذي رمى لؤلؤة ثمينة هي افضل من كل افراد قبيلته.

صرخت بحدة:

ـ كفى. لقد قلت انك لن تعيد الكرة مجدداً، وانك جئت تعتذر. لكن يبدو انك هنا لتعيد الكرة مرة اخرى.

قاطعها اليكس بحدة:

ـ لا. الا تفهمين ما اقول؟ آه يا صوفي...

وفجأة قرع جرس البيت، فاسرعت صوفي تفتح الباب كأنها تهرب من كلمات اليكس الواضحة.

قالت لها ايلين وهي تلتفت الى السيارة الفاخرة المتوقفة امام الباب:

ـ لمن هذه السيارة يا عزيزتي؟ لا تقولي لي انها ملكك؟ يبدو انك لا

تستعملين القطارات هذه الأيام، ام هي ثمن خدمتك في ذلك البيت الثري؟

كانت ايلين تتكلم بصوت ساخر خبيث. ولم تجد صوفي الكلمات المناسبة للرد، خاصة وانها ما زالت مضطربة بعد ما جرى بينها وبين اليكس منذ لحظات. في هذه الاثناء تحرك اليكس، فرأته ايلين التي قالت بصوت انثوي رقيق:

ـ آه. هل ازعجتكما (ثم قالت وهي تمد يدها باغراء) الا تعرفينا الى بعضنا يا صوفي؟

قالت صوفي وهي تزدرد الكلمات بصعوبة:

ـ ايلين، هذا اليكس ليفكاس. سيد ليفكاس، هذه ابنة عمي ايلين هاركورت.

قال اليكس بهدوء:

ـ كيف حالك يا ايلين؟

ردت ايلين بابتسامة عريضة:

ـ هل جئت تأخذ صوفي الآن؟ انا هنا كي ادعوها الى حفلة عيد ميلادي الليلة. اذ لم اعرف بخبر مجيئها الا امس، وهناك حديث طويل حميم ينتظرنا.

قال بسخرية واضحة:

ـ بل ستكون هنا الليلة. لقد جئت لاخبرها بأمر مهم فقط.

علقت ايلين وهي لا تصدق كلمات اليكس:

ـ يسرني ان اسمع ذلك. واعتقد ان كل اصدقاء صوفي القدامى سيسعدون بوجودها، اليس كذلك يا صوفي؟

حدق اليكس ملياً بوجه صوفي الساكن، لكن ايلين تابعت تقول وكأنها تطعن غريمتها في الصميم:

ـ صوفي فتاة غريبة جداً. انها قادرة على الاحتفاظ بأصدقائها حتى لو غابت عنهم لسنوات. ما هو السر يا صوفي؟ ما هو السحر الذي تستعملينه؟

لقد تعلمت صوفي الرد على هجمات ايلين بالابتسامة الصامتة. لكن هذه المهمة بدت صعبة للغاية الآن امام نظرات اليكس المتفحصة. ولم ينقذ الموقف الا منبه سيارة انطلق فجأة في الخارج، فقالت ايلين:

- هذا جيرارد يستعجلني. سوف يأخذني الى المدينة لشراء بعض الحاجيات. آمل ان اصل سالمة. فأنت تعرفين جيرارد (ثم قالت وهي تبتعد) هل ابلغه سلامك؟

قالت صوفي ببرودة شديد:

- اجل.

ضحكت ايلين واسرعت نحو المدخل، لكنها توقفت، موجهة الحديث الى اليكس:

- طبعاً الدعوة موجهة ايضاً الى اصدقاء صوفي. . . وانت مدعو يا سيد ليفكاس اذا ما صدف وجودك هنا الليلة!

اغلقت صوفي الباب بشدة، في حين جلس اليكس يراقب توترها الذي اتضح على شكل رعشة في اليدين وارتجافة خفيفة في الشفتين. سألها بلهجة آمرة:

- ما هذا الذي يجري؟

ضحكت بخفة:

- لا شيء، هذه تصرفات ايلين العادية!

- لا تكذبي علي. انها تكرهك كثيراً. وما هذا الذي قالته عن الاصدقاء؟

ابعدت صوفي وجهها عنه، لكنه امسك بيديها وقال:

- صوفي انظري الي.

حولت عينيها الخضراوين اليه، فشاهد فيهما ملامح دموع تجاهد كي تظل حبيسة الجفون:

- ماذا كانت تقصد؟ ماذا وراء ذلك كله؟ لقد بدأت مضايقاتها فور دخولها البيت!

ردت صوفي بصعوبة:

- انها تكرهني. انها تكرهني منذ البداية. فايلين لا تحب احداً ابداً.

سألها باللهجة الآمرة نفسها:

- ومن هو جيرارد؟

- انه ابن عمي البعيد. اتمنى ان يكون على دراية بأفعاله. كيف يستطيع ان يتصرف هكذا مع كيت وهي حامل الآن ولم يمض على زواجهما اكثر من سنتين؟ لقد كنت اظن ان جيرارد اعقل من ان يرتبط بعلاقة مع ايلين!

سألها بصراحة وقسوة:

- هل هو يحبك؟

ضحكت صوفي وهي تسير نحو غرفة الجلوس:

- بالتأكيد لا.

وتابع اليكس اسئلته المحرجة:

- وهل تحبينه انت؟

نظرت صوفي اليه نظرة خاطفة، ثم التفتت الى صورة على رف فوق المدفأة وقالت:

- هذا هو جيرارد.

التفت اليكس الى الصورة، ثم ضحك بارتياح عندما شاهد الوجه الصبياني، وقال:

- لقد اقلقتني بالفعل.

علقت صوفي بصوت جاف:

- تقصد ان ايلين اقلقتك؟ هذا هو قصدها بالضبط، فهي تحب ان تسبب المشاكل لجميع الناس.

همس قائلاً:

- سأراقبها بحذر. هل ستكون حفلة الليلة رسمية؟

نظرت اليه باستغراب متسائلة:

- وهل تفكر بالذهاب اليها؟
- لم لا، لقد وجهت الي الدعوة.
صرخت بصوت ملح:
- لا يمكنك ذلك. اليكس ارجوك. انا افضل ان لا تذهب!
حدق فيها مطولاً ثم قال:
- وهل حضوري يجعل اصدقاؤك القدامى ضحايا الغيرة يا صوفي؟
اطرقت الى الارض بخجل وقالت:
- كانت ايلين تسخر...
قاطعها بحدة:
- لم يعجبني الموضوع برمته. انا لم ارتح لتلك المرأة، ولم احب الطريقة التي كانت تنظر بها اليك ولا طريقة حديثها (ثم اضاف بعد لحظات) هل استطيع الذهاب بهذه الملابس، ام المطلوب ملابس سهرة رسمية؟
صرخت بيأس:
- ارجوك لا تذهب.
سألها وقد ازعجته ملامح القلق على وجهها:
- لماذا يا صوفي؟ لماذا؟
همست وهي تبعد نظرها عنه:
- ستسبب لي الكثير من الكلام. الناس هنا مغرومون بالقال والقيل.
-دعيهم يفعلون ما يشاؤون. انا آت لمرافقتك. سأكون هنا عند الساعة السابعة والنصف (ثم اضاف ضاحكاً) وهكذا سيكون لدي الوقت كي اتعرف الى عائلتك. وبالتأكيد سيرتاحون كثيراً عندما يكتشفون انني لست كما تصورني الصحف!

٦ - عرض لانقاذ الموقف

أصيب جميع افراد العائلة بالذهول عندما اخبرتهم صوفي بقدوم اليكس مساء لاصطحابها الى الحفلة. صرخت والدتها وهي تتلفت في انحاء غرفة الجلوس مذعورة:
- لا يا صوفي. كيف سمحت له ان يرى البيت وهو في هذه الحالة؟ هل دخل الى هنا؟ انظر الى علب سكائرك وغلايينك يا جون، مجلات على الأرض، سلة الخياطة المبعثرة... ترى ما الذي قاله عنا؟
قال والدها بصوت متعب:
- لماذا لم ترفضي الدعوة يا صوفي؟ والدتك ستقلب البيت رأساً على عقب الآن، ولن نعرف طعم الراحة حتى يأتي... ويذهب بسلام...
علقت الوالدة بتوتر:
- باتسي، اعطني المكنسة الكهربائية. صوفي ارفعي هذه المجلات من هنا... وانت يا جون تخلص من علب السكائر والغلايين، ولا تتركها هنا مرة اخرى. ماذا ستقدم له عندما يأتي؟
صاحت صوفي بنفاد صبر:
- لا ترتبكي كثيراً يا امي... فاليكس لم يهتم كثيراً لهذه التفاصيل.
خيم صمت ثقيل على الغرفة. باتسي واقفة في الممر وهي تحمل

المكنسة الكهربائية، الأم جامدة وقد علت وجهها الدهشة، والأب يحلق في وجه صوفي بامعان. شعرت صوفي بالاحراج والخجل منهم. لقد ادركت بعد فوات الأوان انها اثارت شكوكهم بعبارتها الأخيرة. فمنذ ان عادت الى البيت وهي تحرص على ايهامهم بأن علاقتها باليكس رسمية جداً. لكن ان يطل عليهم فجأة ويأخذها الى الحفلة، فهذا اكثر مما تتحمل افكارهم.

سألها والدها دون ان يرفع عينيه عن غليونه المشتعل:

- لماذا حضر الى هنا يا صوفي؟

ترددت صوفي ثم قالت:

- كان يحمل لي رسالة من السيدة ليفكاس، وقد مر ليسلمني اياها في طريقه لزيارة احد الاشخاص.

بدت هذه الحجة واهية جداً، واتضح ذلك من سؤال باتسي الساخر:

- هل سيبقى عند ذلك الشخص طويلاً؟

لم تكن صوفي لتعرف مخططات اليكس بعد ان غادرها، ولم تعرف الى اين توجه بانتظار الحفلة مساء، لذلك قالت:

- لست ادري فعلاً.

تابعت باتسي اسئلتها المحرجة وهي تغالب ضحكة مكبوتة:

- وماذا كانت الرسالة يا صوفي؟ هل هي مهمة الى هذا الحد؟

هزت صوفي رأسها بهدوء، وردت باقتضاب:

- طبعاً مهمة.

واصلت باتسي اسئلتها:

- وماذا عن محتوياتها؟

قاطعتها الوالدة بعنف:

- باتسي، هذا لا يعنيك ابداً.

علقت صوفي بلطف:

- كانت رسالة تتعلق بالعمل.

ردت باتسي ضاحكة:

- طبعاً... طبعاً. كنت اعرف منذ البداية ان لا مبالاتك غير صحيحة.

صرخت الوالدة بحزم:

- باتسي، اذهبي الى المطبخ وتأكدي من وجود كل مستلزمات السهرة (ثم توجهت الى صوفي بينما غادرت باتسي الغرفة بانفعال) صوفي، اعتقد انك عاقلة يا ابنتي. صحيح انه وسيم، لكن...

نظرت صوفي الى امها وقالت بحنان:

- اؤكد لك يا امي اني لن افقد عقلي... وهذا وعد مني.

تدخل الوالد المنهمك بتعبئة غليونه مجدداً:

- هذا الأمر يخص صوفي. فاتركيها تتصرف كما يحلو لها يا عزيزتي.

بعد هذا الحديث انصرف الجميع الى اجراء الترتيبات اللازمة. وفي نهاية النهار صعدت صوفي الى غرفتها للاستعداد للحفلة. فكرت وهي تخرج فستانها الجديد من الخزانة بأن ايلين ورطتها في هذا الوضع. نظرت بعد قليل في المرآة فوجدت انها في احسن حالاتها. وفجأة قرع الجرس، فخفق قلبها بشدة واسرعت الى قمة الدرج لتطل على المدخل.

فتحت باتسي الباب، وكان اليكس هناك بابتسامته الساحرة. سألها وهو يبتسم بلطف:

- لا شك انك باتسي؟

ردت باتسي وانفاسها تكاد تنقطع:

- نعم، اهلاً وسهلاً. تفضل بالدخول.

شاهدت صوفي شقيقتها الصغيرة وهي تحدق من فوق كتف اليكس بالسيارة الفاخرة المتوقفة امام الباب. ففكرت ان الجيران سيجدون الليلة موضوعاً مثيراً للتعليق والشائعات.

تحركت صوفي نزولاً، فالتفت اليكس اليها متأملاً الثوب الربيعي

الاخضر المطرز بخطوط فضية تزيده جمالاً ورونقاً. وانعكست اضواء المدخل على شعرها الذهبي الناري لتعطي صورة تخطف الانظار. تقدم اليكس صوب اسفل الدرج، واخذ كف صوفي بين يديه قائلاً:

- انت فاتنة فعلاً!

ابتسمت له وواصلت سيرها الى غرفة الجلوس يتبعها اليكس وباتسي بصمت. هناك كان والداها ينتظران بارتباك وتوتر للترحيب بالضيف الغريب. وقد استطاع اليكس بكياسته ولطفه ان يزيل الرسميات ويضفي على الجو طابعاً عائلياً مريحاً. وحدثهم عن رحلته من لندن، وكيف ان سائق شاحنة كاد ان يصطدم به قبل وصوله الى البيت بلحظات، ثم قال:

- لدي تعليمات من والدتي بأن اهتم بصوفي بشكل خاص هذه الليلة. فأمي لا تريد ان تخسر افضل سكرتيرة تعرفت اليها خلال حياتها.

خففت هذه العبارات من قلق الوالدين، كما وانها اشعرت صوفي بالارتياح لانه تصرف برقة ولطف مع عائلتها. ولم تستطع صوفي ايضاً الا ان تلاحظ نظرات الاعجاب التي اطلقها اليكس نحوها بين الحين والآخر.

بعد مدة، نظر الى ساعة يده قائلاً:

- الا تعتقدين ان الوقت قد حان للذهاب يا صوفي؟ يجب ان اعود باكراً الى لندن الليلة.

سألته والدتها:

- اين تنزل؟

لم يطل تردد اليكس كثيراً قبل ان يقول:

- في مكان قريب من هنا.

سألته باتسي بلهجة متشككة؟

- مع اصدقاء والدتك؟

حدق اليكس فيها مطولاً، وقال:

- لقد اخبرتك صوفي اذن (ثم التفت قائلاً) هل انت جاهزة يا صوفي؟

قال ضاحكاً وهما في الطريق الى البيت الريفي المجاور:

- شقيقتك حادة كالسيف يا صوفي، اليس كذلك؟ ماذا قلت لهم؟

ردت بصوت خافت:

- لا شيء. لو انهم عرفوا فعلاً بالذي جرى بيني وبينك لكانوا اجبروني على ترك خدمة والدتك.

علق اليكس بهدوء، وهو يأخذ كفها بين يديه:

- انهم لا يعرفونك تماماً. لو اني رأيتك بهذا الجمال قبل اسابيع لما تركتك لحظة.

اعترضت صوفي متضاحكة:

- انت رجل صعب للغاية.

رد بسرعة:

- من المؤكد انك لم تري نفسك في المرآة. والا لما استغربت عبارتي (ثم سألها وهو يتوقف امام البيت) يا له من بيت جميل، من هو صاحبه؟

اجابته:

- زوج ايلين.

علق اليكس ساخراً:

- يبدو ان ايلين متزوجة من ثروة. كان من الواضح ذلك على تصرفاتها اليوم.

تمتمت صوفي بحدة:

- هيا اخرج دفتر الشيكات... فالمال يفعل العجائب هنا.

استدار ناحيتها بدهشة وقال:

- لقد قلت ذلك بحدة فعلاً، انت فعلاً تكرهينها... اليس كذلك؟

قالت بصوت منفعل:
- يجب ان احذرك من ان ايلين امرأة وقحة للغاية.
اطلق اليكس صفرة قوية وهو يقول:
- اشكرك على هذا التنبيه، لم اعتقد انها قادرة على ذلك فعلاً (ثم اضاف بلهجة جادة) ماذا لديها ضدك يا صوفي؟ بل ماذا لديك انت ضدها؟
ردت وهي تهز كتفيها بلا مبالاة:
- اننا لا نحب بعضنا البعض... هذا كل شيء.
ادركت صوفي فور وصولها البيت ان ايلين اشاعت بين المدعوين احتمال حضور اليكس الحفلة. هي تعرف معظم الحضور الذين راحوا يتقدمون منها للسلام عليها، وللتعرف الى اليكس ايضاً.
قالت لها ايلين بقسوة:
- تبدين انيقة جداً بهذا الفستان يا عزيزتي. انك تشعرينني بعقدة نقص فعلاً.
ردت صوفي على نظرتها القاسية بلا مبالاة، وقالت:
- انت دائماً رائعة يا ايلين.
وضعت ايلين ذراعها حول كتف اليكس وقالت ضاحكة:
- هل تصدق، كان لدي شعور بأنك ستحضر. ماذا فعلت بصوفي؟ لقد تغيرت الفتاة الى درجة لم تعد تعرفها!
كانت صوفي تشعر بالتوتر والقلق، وهي تراقب الرجل القادم من خلف ايلين. تابعت ايلين كلامها مخاطبة اليكس والرجل الجديد:
- الا توافق يا سيمون؟ الم تتغير صوفي؟ اني اتساءل عما كانت تفعله... الا تتساءل انت؟ تبدو الآن غريبة في هذا المكان المتعزل الموحش. انا متأكدة ان نظراتها هذه تمكنها من تحقيق ما تريد... اذا صادفها الحظ!
ودت صوفي لو انها تصفع هذا الوجه اللئيم، لكنها كبتت مشاعرها متضاحكة على عبارات اعتبرتها مجرد نكتة سخيفة. تابعت

ايلين كلامها:
- سيد ليفكاس... الافضل اليكس على اساس ان تناديني ايلين بالمقابل (ثم التفتت الى سيمون متابعة) هذا زوجي سيمون.
مد سيمون يده ناحية اليكس مصافحاً بحرارة وهو يقول:
- اهلاً بك في بيتنا. ان اصدقاء صوفي هم اصدقاء لنا ايضاً.
رد اليكس دون ان تغيب عن ذهنه نبرة السخرية في تعابير سيمون وزوجته:
- شكراً لك. ان منزلك جميل للغاية.
- نعم، فنحن فخورون به كثيراً.
- هل تسكن عائلتك فيه منذ مدة طويلة؟
قلب سيمون شفتيه بلا مبالاة وقال:
- منذ حوالى ٥٠٠ سنة تقريباً.
فجأة دخل جيرارد الغرفة، فانسحبت ايلين من بين المجموعة وانضمت اليه. راقبها زوجها بصمت، ثم التفت الى صوفي قائلاً:
- هل انت مسرورة بالعودة الى انكلترا يا صوفي؟
ردت بلطف:
- جداً يا سيمون (ثم سألته بعد لحظات) وكيف حال لوسي؟
تغير وجهه للحظات، لكنه تابع بهدوء:
- انها افضل الآن. لقد عثرنا لها على مدرسة غير بعيدة من هنا. ويبدو انها احبتها كثيراً.
- اتمنى ان اراها وانا موجودة هنا.
- طبعاً، يمكن ان تصعدي اليها في اي وقت ترغبين، انها تحبك كثيراً.
نظرت اليه صوفي بعطف وقالت:
- وانا احبها ايضاً.
قال سيمون بأسى:
- ستشعر بالفرح الكبير عندما ترى انك لم تنسها بالرغم من كل

استقرارك. لقد اعطتها والدتك مجموعة من الطوابع اليونانية لتضيفها
الى مجموعتها (ثم التفت الى اليكس الذي كان يستمع اليها بأدب
وقال) ابنتي بكماء، وقد وجدنا صعوبة في اقناعها بهذه الحقيقة.
سأله اليكس باهتمام:
- وكم تبلغ من العمر؟
اجاب سيمون:
- تسع سنوات. انها تحب صوفي كثيراً. فهي الانسان الوحيد
الذي استطاع ان يقنع لوسي باستعمال لغة الاصابع للتعبير
والتفاهم...
قاطعته صوفي:
- وانت ايضاً لعبت دوراً مهماً.
ابتسم سيمون بلطف:
- صحيح، وهي تتكلم بأصابعها الآن وكأنها لا تريد التوقف
ابداً. ان ذلك مما يثير الأمل في نفسي.
اعتذر سيمون منسحباً بعد ان ناداه احد الضيوف من الطرف
الآخر من الغرفة. علق اليكس بأسى:
- يا له من مسكين! زوجته مستهترة، وطفلته بكماء... ولا غرابة
ان يبدو تعيساً الى هذا الحد.
علقت صوفي موافقة:
- صحيح لم يكن محظوظاً في حياته.
تابع اليكس غاضباً دون ان يحاول اخفاء تأثره بحالة سيمون:
- هذا اقل ما يمكن قوله، ويبدو عليه انه رجل محترم ايضاً.
- لا امل يرتجى في عائلة هذا وضعها.
سألها بهدوء:
- وهل كل ذلك بسبب الطفلة؟
ترددت صوفي للحظات قبل ان تجيب:
- نعم، اظن ذلك.

علق اليكس مفكراً:
- ربما يعطيها ذلك مبرراً لتصرفاتها...
قاطعته صوفي بقسوة:
- عندما تزوجت ايلين من سيمون كانت تعتقد ان الحياة ستكون
رحلة استجمام دون متاعب. ولما اكتشفت ان لوسي بكماء رفضت
ان تلمسها او تقترب منها... منذ لحظة ولادتها وهي تهملها. وفي
الحقيقة، انا اعتقد انها تكره الطفلة المسكينة. لقد نعتتها امامي مرة
بأنها مشوهة، وكأن البكم جريمة ارتكبتها الصغيرة بنفسها. ان ايلين
لا تحتمل فكرة ان يولد لها طفل ليس كاملاً. ومع ان لوسي جميلة
ومحبوبة، الا ان ايلين تتصرف وكأنها غير موجودة ابداً.
نظر اليكس الى وجه صوفي المنفعل، ثم قال:
- هل تهمك الطفلة كثيرا؟
ردت بعطف:
- نعم. لا استطيع ان اتصور وجود ام تتصرف تجاه طفلتها
بالطريقة التي تتصرف بها ايلين مع لوسي!
علق اليكس بهدوء:
- اذن هذا هو السبب في كراهيتك لها؟
في هذه الاثناء كان جيرارد وايلين يقتربان من صوفي واليكس.
سلم جيرارد على صوفي قائلاً:
- كيف حالك يا صوفي؟
ردت بلهجة عتاب واضحة:
- الحمد لله. كيف حال كيت، اليست موجودة هنا الليلة؟
هرب جيرارد بنظراته الى البعيد وقال:
- لم تستطع ان تأتي، انها متوعكة قليلاً.
- ومتى موعد الولادة؟
رد متلعثماً:
- عدة اشهر (ثم ابتعد هارباً) سررت بلقائك يا صوفي.

في هذه الأثناء اخذت ايلين اليكس من ذراعه، وراحت تعرفه على المدعوين. كانت تتصرف وكأنها تلقت اغلى هدية في حياتها. ان اللؤم والحسد هما طبيعة ايلين التي ظنت ان زواجها من سيمون سيفتح لها سلم المجد الاجتماعي، لكن الرياح لم تأت بما تشتهي السفن. وهذا ما دفعها الى تحطيم الآخرين بتصرفاتها المستهترة.

وقفت صوفي تراقب جموع الراقصين وقد بدأ جو الغرفة العابق بالدخان يشعرها بالاختناق. انسحبت بهدوء دون ان يشعر بها احد، وخرجت الى الشرفة المظلمة المطلة على الحدائق الغافية في ضوء القمر. سرحت نظرها في البعيد وهي تستعيد احداث اليوم المليئة بالمفاجآت. فجأة سمعت وقع خطوات خلفها، وشمت رائحة سيجار عرفتها للتو، فالتفتت صارخة بصوت متحشرج:

ـ لا... عد الى الداخل فوراً.

سألها سيمون دون ان يبالي بتوترها:

ـ هل انت لوحدك يا صوفي؟

تقلصت ملامح صوفي وهي تقول:

ـ ارجوك يا سيمون.

حاولت صوفي الهرب الى شرفة جانبية، لكن سيمون لحق بها بخطوات واسعة وامسكها بين ذراعيه بقوة. لكنها قاومته بشدة قائلة:

ـ ارجوك يا سيمون لا تجعلني اغضب منك.

رد بقسوة:

ـ لست ابالي بغضبك، انني بحاجة اليك.

وغابا في عناق عنيف، قطعه سيمون بعد لحظات بصوت متهدج:

ـ يا الهي كدت ان اجن وانا انظر اليك في الداخل. اريدك، ولكن لا استطيع الاقتراب منك.

اتكأت صوفي على جدار الشرفة وقالت بقلق:

ـ يجب ان تكون في الداخل، ربما لاحظت ايلين غيابك.

رد بعنف:

ـ لن تلاحظ شيئاً مهما حدث. ان انظارها مشدودة الليلة الى صديقك اليكس فقط.

قالت صوفي بصوت منكسر:

ـ انا آسفة لاحضاره، لكنها وجهت اليه دعوة مباشرة وهو اصر على الحضور.

حدق سيمون فيها بعينين مليئتين بالغيرة، وقال:

ـ ايلين تشيع بين الحضور بأنك لست سكرتيرة والدته فقط!

وجهت صوفي اليه نظرات مشفقة وقالت:

ـ انت تعرف يا عزيزي ان ذلك غير صحيح. فلماذا تهتم بأقاويلها؟

رد سيمون بألم:

ـ مع انني لم اصدق ادعاءاتها، الا ان اوقاتاً عصيبة مرت علي، وحتى عندما شاهدتك معه، شعرت... (لم يستطع ان يكمل الا بصعوبة) الله وحده يعلم ماذا شعرت. انه مهتم بك يا صوفي ولا تحاولي انكار ذلك. هل تعتقدين انني لم الحظ ذلك؟ انا اعرف تماماً كيف ينظر اليك الرجال الآخرون.

خيم صمت ثقيل متوتر عليهما. وعندما لاحظ سيمون حمرة الخجل والارتباك تلون وجه صوفي الشاحب، تابع يقول:

ـ لقد اصبت كبد الحقيقة، أليس كذلك؟ ايلين تحاول جاهدة لفت اهتمامه، لكن لا اعتقد ان لديه ادنى اهتمام بها. كل مشاعره وافكاره منصبة حولك. لقد راقبته وهو ينظر اليك طيلة الوقت. ان عينيه لا تفارقانك لحظة!

سكتت صوفي للحظات، ثم قالت بصوت هادىء:

ـ الافضل ان تعود الى الداخل يا عزيزي، فهذا افضل لنا معاً.

رد ويداه تلامس شعرها النازي:

ـ ليس بعد. انك رائعة في هذا الثوب يا عزيزتي. تبدين كالربيع

المزهر، وكأنك كما كنت في الثامنة عشرة من عمرك!

همست بصوت مخنوق:

- كفى ارجوك.

تابع بلا مبالاة:

- احلم بك دائماً. وعندما استيقظ اجد الكابوس الدائم: ايلين والمشاكل والاستهتار. افكر احياناً بأنك تزوجت من رجل آخر فأجن، بعض الليالي تكون الاحلام مزعجة للغاية، وأظل متوتراً طيلة النهار من جرائها.

اخفت صوفي دموعها المنهمرة وراء كفين مضطربين، فتابع يقول بلهفة:

- انا آسف. لم يكن من المفروض ان اخبرك. آه كم انا اناني حقير. كنت قد اقسمت الا اقول لك شيئاً مزعجاً. والحقيقة انني لا افكر الا في نفسي. ارجوك لا تبكي يا صوفي.

همست بصوت صدر من اعماق صدرها:

- انني احبك.

اعترته رعشة خفيفة وهو يقول:

- اه يا عزيزتي لو ان . . .

صرخت بيأس:

- ارجوك لا تقل اي شيء. الكلمات صعبة للغاية الآن.

- لوسي . . .

قاطعته بلهفة:

- لوسي اهم منا. اعلم ذلك. انت لا تستطيع ان تطلق ايلين دون المخاطرة بفقدان لوسي. ونحن نعلم ان لوسي هي قبل كل شيء. اذهب يا سيمون، ارجوك لا تعذبني اكثر.

تنهد بأسى وهو يبعد عينيه عن وجهها، ثم استدار ببطء وعاد الى ضيوفه. . . بينما ظلت هي على الشرفة تكفكف دموعها المنهمرة ببطء. وفجأة تناهى الى مسمعها صوت وقع اقدام وحفيف اوراق

الشجر، فالتفتت برعب لتجد اليكس ليفكاس خارجاً من خلف احدى النوافذ المغطاة بأشجار كثيفة. لا شك انه سمع كل شيء، وهذا واضح من النظرات الحادة التي اطلقها نحوها.

قال بصوت فاتر:

- ادركت بعد فوات الوقت ان ما اسمعه لا يخصني، لكنني لم استطع الظهور. كنت مختبئاً من زوجته اللجوج، وهكذا اصبحت شاهداً لقصة روميو وجولييت المكررة (تابع بعد فترة دون ان تتغير ملامح وجهه) لقد كان اداء رائعاً فعلاً.

صرخت وهي تبتعد عنه:

- كفى ارجوك.

لحق بها قائلاً:

- انك ممثلة رائعة. طيلة السهرة كنت اتمعن في اوجه الناس بحثاً عن رجل انت مهتمة به . . . لكنني لم الحظ شيئاً. انتما الاثنان ممثلان ماهران!

صرخت بصوت مضطرب:

- الا ترى انني غير راغبة بالحديث معك؟

علق اليكس ساخراً والمرارة تعتصر نفسه:

- انا متأكد من ذلك. لقد خدعتني بوجهك الهادىء الجميل، وبالاسلوب الخبيث الذي استعملته معي. كنت على وشك ان اصدق ادعاءاتك، كنت سأصدق انك الجميلة البريئة التي تنتظر فارس الاحلام (اطلق ضحكة خفيفة متألمة قبل ان يتابع) اليس كذلك؟

حدقت صوفي فيه بعينين مرعوبتين، لكنه انحنى نحوها بتحد واضح وقال:

- هذه هي اللعبة اذن، اليس كذلك؟ لا تستطيعين الزواج من روميو، ولذلك خططت لاصطيادي. يا الله، لقد كدت ان تنجحي لولا الحظ الذي جعلني ارى هذا المشهد العاطفي.

لمعت عينا صوفي بغضب مفاجئ، وقالت بحدة:

- سأكون بمنتهى السعادة اذا ما ابتعدت عني الى الابد يا سيد ليفكاس. انا اضطادك؟ اني لا استطيع تحمل نفسي معك في مكان واحد.

سارت صوفي بخطى مسرعة ناحية الباب، الا ان ذراعي اليكس كانتا اسرع اليها. فصرخت بحدة:

- دعني اذهب

لكن الذراعين القويتين احكمتا الطوق حولها. ولم تعد تنفع المقاومة الضارية في ابعاد اليكس عنها. في تلك اللحظة، جاءتها ضحكة ساخرة فابتعدا عن بعضهما البعض وحمرة الخجل تضرج وجهها.

قالت ايلين بخبث:

- يا الهي. ما هذا؟ كم كنت غبية. لم اعتقد ابداً ان صوفي قادرة على التصرف هكذا. كم انت مسكين يا زوجي العزيز سيمون!

تصلبت ملامح اليكس وهو يراقب ايلين وزوجها سيمون الواقفين عند الباب. اما صوفي فقد تمنت لو ان الأرض تنشق وتبتلعها لتهرب من نظرات سيمون العاتبة والغيرى والحزينة. لكن ايلين تابعت هجومها في محاولة لاستغلال هذه الفرصة الذهبية وقالت:

- لماذا شحب وجهك يا سيمون؟ هل انت بخير؟

نهرها زوجها بصوت حاد دون ان يبعد عينيه عن صوفي:

- اخرسي ايتها المستهترة.

ضحكت ايلين بصوت هستيري وقد ملأتها السعادة لهذا المشهد. فقد استطاع زوجها طيلة سنوات ان يخفي عنها حقيقة مشاعره. اما الآن فهو عاري العواطف مضطرب ويائس وحزين. وهذه فرصة لا تعوض للانتقام والتشفي. لذلك التفتت الى اليكس وقالت باللهجة الخبيثة نفسها:

- لا تضطرب يا سيد ليفكاس... اقصد يا اليكس. مثل هذه الأشياء تحدث في احسن العائلات كما تعلم. انا متأكدة من كرمك، وصوفي محظوظة جداً معك.

ادارت صوفي رأسها وهي تغالب دموع الحقد والغضب والخجل. كم تتمنى لو تهرب من هذا البيت، بل من المنطقة كلها. لكن اليكس قال بهدوء واتزان وادب:

- يبدو ان لديك فكرة خاطئة يا سيدة هاركورت. انا وصوفي ننوي الزواج قريباً!

٧ - شريط الذكريات . . .

كسر اليكس الصمت بضحكة مجلجلة وقال:

- كان من الصعب معرفة من منكما كانت اكثر ذهولاً على الشرفة.

سألته صوفي ولم تكن بعد قد افاقت من فعل الصدمة:

- لماذا فعلت ذلك؟

كانا يجلسان في سيارة اليكس المتوقفة في طريق فرعي بعيداً عن بيتها. وفي مثل تلك الساعة من الليل، لم يكن السير كثيفاً، باستثناء سيارة عابرة مسرعة كانت تلقي عليهما ضوءاً قوياً للحظات، ثم تعود المنطقة للغرق في الظلام الدامس.

اشعل اليكس سيجارة ومج منها طويلاً . . . ثم قال وهو يحدق في الدخان الأزرق الكثيف:

- لست ادري. اعتقد انني اردت ان امسح تلك الابتسامة الفظيعة عن وجهها.

والحقيقة انه نجح فعلاً. فما كادت ايلين تتبين معنى كلماته، حتى تحولت ابتسامتها الهازئة الى ضحكة صفراء. وسرعان ما راحت تقلب نظرها بين اليكس وصوفي والحسد يأكل صدرها. . . لقد اغضبها مجرد التفكير بأن صوفي ستتزوج ثروة اليكس الباهظة.

قالت صوفي بمرارة:

- لكنك جعلت الأمور اسوأ.

هز رأسه ببطء، وقال بجفاء:

- اصبحت الأمور اسوأ بالنسبة اليه. لقد بدا عليه الاشمئزاز عندما رآنا معاً . . . وازداد وضعه صعوبة عندما اعلنت بأننا سنتزوج!

تذكرت صوفي ردة فعل سيمون وغيرته على الشرفة، فقالت:

- سأحاول ان اراه غداً لأخبره بأنها كانت مجرد مزحة.

صرخ بها غاضباً:

- لا، لن تذهبي لرؤيته.

احتقن وجه صوفي بالغضب، ونظرت اليه بوجه مضطرب وعينين مليئتين بالدموع قائلة:

- يجب ان اخبره بأن ما ورد على لسانك ليس صحيحاً.

قاطعها بعنف:

- لا.

- ولكني لا اريده ان يعتقد بأنني كنت كاذبة. كيف سيكون شعوره الآن؟ قبل لحظات من مجيئك كنت اؤكد له ان لا شيء يربط بيني وبينك. وفجأة يجدني بين ذراعيك (وانفجرت بالبكاء المر وتابعت من بين الدموع) يا الهي كم هو تعيس الآن؟

قال اليكس بصوت قاس متهدج:

- كم هي رائعة هذه العواطف!

- كيف تستطيع ان تكون بهذه القسوة؟

- لقد كذبت علي مرة، والآن يمكنك ان تكذبي عليه ايضاً.

- لم اكذب عليك ابداً.

صاح غاضباً:

- بل، لأنك لم تذكري امامي بعض الأمور. لقد جعلتني اصدق بأنه لا يوجد احد في حياتك . . . وطوال الوقت كنت غارقة حتى اذنيك في حب رجل متزوج.

قالت بصوت مرتجف:

- لست مرتبطة بعلاقة مع سيمون . . . ابداً.

مد يده الى ذقنها وادار رأسها نحوه بعنف وقال:

- اذا كذبت علي هذه المرة سأقتلك. هل هناك علاقة بينك وبينه؟

نظرت اليه برعب حقيقي وقالت:

- كلا.

- متأكدة؟

- تمام التأكيد.

اشتدت قبضته على فكيها وهو يقول:

- هل هذه هي الحقيقة فعلاً؟

سحبت صوفي رأسها من قبضته وردت بتحد غاضب:

- نعم، وان كان ذلك لا يعنيك مطلقاً. كيف تجرؤ على استجوابي كما لو انني مجرمة؟ ليس من حقك ان تطلب معرفة اي شيء عن حياتي الخاصة. من تعتقد نفسك فعلاً؟

تقلص فمه القاسي وهو يقول:

- انني الرجل الذي اعلن منذ قليل انه سيتزوجك.

صرخت صوفي بحدة:

- لا تكن سخيفاً. كلامك لا يعني اي شيء!

- بلى، انه يعني اشياء كثيرة. لن اسمح لاحد باتهامي بالتراجع عن وعودي. لقد اعلنت الأمر علانية، ولن اتراجع عن كلامي.

- ماذا تقصد بـ «علانية»؟ لم يسمع احد سوى ايلين . . . وسيمون فقط!

انقطع صوتها عند ذكرها الاسم الثاني، فالتفت اليها اليكس غاضباً يراقب الدموع المنهمرة بغزارة على وجنتيها الشاحبتين. بعد لحظات مسحت صوفي دموعها وشرقت انفها بضعف ويأس.

ضحك دون اهتمام بحزنها وقال:

- هل تعتقدين ان ايلين ستحتفظ بتلك الاخبار لنفسها؟

جمدت صوفي في مكانها مذهلة. فتابع اليكس كلامه بقسوة واضحة:

- خلال اربع وعشرين ساعة سيكون الخبر قد انتشر في هذه المدينة!

صرخت برعب:

- يجب عليك ان توقفها . . . عليك ان تخبرها ان الأمر كله مجرد مزحة.

- لا.

نظرت اليه والشك يساورها:

- يجب عليك ان تفعل ذلك.

رد عليها بلهجة آمرة:

- اياك ان تستعمل معي كلمة «يجب»!

همست بضعف:

- سيد ليفكاس. يبدو انك تجهل عاقبة ذلك.

ضحك بصوت ساخر متسائلاً:

- الا اعرف حقاً؟

شعرت صوفي بالدنيا تدور بها، فقالت بيأس:

- لماذا انت عنيد هكذا؟ هل تشعر بأن كرامتك جرحت؟ آه، لماذا قلت انك ستتزوجني؟ هل كان عليك ان تقول شيئاً كهذا؟

رمى السيجارة من نافذة السيارة بعصبية وقال:

- لقد قلتها من اجلك ايتها الغبية. لم احتمل اهانة تلك المرأة وانت عاجزة. لست ادري لماذا قلتها، لعلها خرجت مني لا شعورياً؟

قالت صوفي وهي تتنهد:

- هل كان عليك ان تكون شهماً في تلك اللحظة بالذات؟ ذلك ليس من طبعك يا سيد ليفكاس. فلماذا لم تجد شخصاً آخر تلعب معه دور الفارس الشجاع؟

حدق بها وشرارات الغضب تلتمع في عينيه:

- كان من الأفضل ان اتركها تهينك وتجرحك وانت عاجزة تماماً

على الشرفة. وبما كان علي ان اصفعها فقط
- ذلك ما كنت اتوقعه منك. وما كنا ابتلينا بهذه المشكلة العويصة.
قال وهو يدير المحرك:
- لا توجد اذن مشكلة!
- كيف تقول ذلك؟
رد بهدوء:
- بسيطة جداً. علمتني التجارب ان افضل طريقة لمعالجة اي مشكلة . . . ان تجعلها تعمل لصالحك.
صرخت صوفي بحدة:
- انت مجنون فعلاً. ماذا تعني ان تعمل لصالحك؟
تحركت السيارة مسرعة باتجاه البيت، وهو يقول:
- اعني ان نستفيد منها.
ازداد شعور صوفي بالتوتر والقلق وهي تسأل:
- ماذا تعني بذلك الآن؟
تابع قيادة السيارة دون ان يلتفت اليها، وقال:
- انني افكر بهذا الأمر. وسأعلمك بالنتيجة فور العثور عليها.
خيم الصمت للحظات، ثم عادت صوفي ترجوه:
- دعني اخبر سيمون على الاقل، دعني اشرح له . . .
قاطعها بحدة وعنف:
- لا . . . لا قاطعة. واريدك ان تعديني بذلك!
قالت بصوت هامس:
- الا تتصور كيف يشعر الآن؟
رد بحقد:
- بلى. حتى ولو اقسمت باغلظ الايمان امامه بأن لا شيء يربطك بي، فانه لن يصدق. . . على الاقل ليس بعد ان شاهدنا معاً وسمعني اقول بانني سأتزوجك. لا شك انه يرفض حتى الاستماع اليك بعد

الذي جرى.
شعرت صوفي بالبرودة تسري في جسمها. اليكس محق فيما يقول. فهي ما زالت تذكر نظرة الكراهية والاشمئزاز في عيني سيمون وهو يدفع ايلين الى غرفة الجلوس بعد الاستماع الى قبلة اليكس. لا شك انه يظن بها الظنون الآن، خاصة وانها اكدت له قبل لحظات من المشهد العاصف بأن لا شيء يربطها باليكس.
اختلس اليكس نظرة خاطفة اليها، وقال وابتسامة خبيثة ترتسم على شفتيه:
- ان ذهابك اليه واخباره بأنك ما زلت مخلصة يعتبر مضيعة للوقت فقط. لو كنت مكانك لما اكترثت ابداً.
انعطف اليكس بسيارته في منعطف شارع بيت صوفي، ثم قال بعد ان اوقف السيارة:
- على اية حال، هل تعرفين انه لا مستقبل لك معه؟ ان زوجته لن تدعه يفلت من يديها لأنها ستخسر الكثير اذا ما طلقها. ربما كانت تكرهه فعلاً، لكنها تحب ماله وبيته.
علقت صوفي بلهفة:
- هذا هو كل ما تهتم به.
قال اليكس واصابعه تضرب على مقود السيارة:
- كم مضى على علاقتك به؟
غمغمت بخجل:
- خمس سنوات.
هتف غير مصدق:
- خمس سنوات، يا الهي كم كان عمرك يومها؟
ردت بتنهيدة:
- ثماني عشرة سنة!
قال بغضب:
- يجب ان يعاقب هذا المجرم. ان عمره يقارب الاربعين.

ـ عمره ثمانية وثلاثون عاماً!

ـ عندما بدأت علاقتك به كان في الثالثة والثلاثين بينما كنت انت في الثامنة عشرة! كنت بالنسبة اليه الحبيب المنتظر، بينما اثر هو بك بماله وجاذبيته.

صاحت وكأنها تدافع عن حبيبها:

ـ يمكنك ان تتكلم عنه كما تشاء. لكن قل لي كم هو عمر بياتريس؟ انت نفسك اعترفت بشراء النساء، فكيف تجرؤ على تحقير سيمون في هذا المجال؟

قال اليكس دون انفعال:

ـ خمس سنوات! وهل تتوقعين مني ان اصدق بأن علاقتكما ليست حميمة؟

احتقن وجهها خجلاً وغضباً وهي تقول:

ـ انا لا اطلب منك ان تصدق اي شيء، ولست مهتمة بما تصدق او لا تصدق. ولكني اؤكد لك ان ما قلته صحيح. انه يختلف عنك كثيراً... فهو لا يلهث وراء النساء.

ـ من هو اذن؟ هل هو من نوع مختلف من البشر؟ علاقة منذ خمس سنوات دون ان تتطور! هل تظنيني غبياً الى هذا الحد؟

ـ انه يحبني!

قاطعها بفظاظة:

ـ بل هو يريدك. لقد شاهدتكما معاً على الشرفة كما تذكرين... لم يكن منظركما يدل على الحب العذري الذي تدعينه.

تنهدت صوفي بأسى واغرقت وجهها بين يديها هرباً من عينيه اللتين تشرقطان غضباً. لقد آلمها ان يكون قد شاهد كافة التفاصيل التي جرت بينها وبين سيمون. قال اليكس دون ان يرفع ناظريه عنها:

ـ دعينا نطرح الموضوع مجدداً. ساعيد السؤال مرة جديدة، وهذه المرة اريد الحقيقة المجردة. هل هناك علاقة خاصة معه؟

لم تجب صوفي على سؤاله المباشر، فمد يده نحوها رافعاً رأسها من بين راحتيها وواصل اسئلته:

ـ هل تطورت علاقتكما؟ واين تتم المقابلات بينكما؟

ردت صوفي وهي تشهق بالبكاء:

ـ ارجوك.

صاح دون ان يعير مشاعرها اي اهتمام:

ـ اخبريني الآن.

بللت صوفي شفتيها الجافتين بلسانها الرطب، وراحت تتحدث بصوت متوتر:

ـ لم آت الى بيتنا خلال السنوات الثلاث الماضية الا نادراً. وطيلة هذه المدة لم نلتق الا اربع مرات، ودائماً كان معنا اناس آخرون. ولم نتفرد على الاطلاق.

سألها بقسوة متعمدة:

ـ وقبل ذلك؟

حاولت التهرب من الاجابة بالنظر من النافذة الى الشارع المظلم، لكنه ادار وجهها بعنف وهو يكرر السؤال:

ـ وقبل ذلك، ماذا حدث؟

ـ لا شيء. كان سيمون يشعر بالذنب لأنه اطلعني على حقيقة مشاعره تجاهي.

قال اليكس بعد فترة من الصمت:

ـ هيا اخبريني بكل شيء... من البداية.

كان اليكس يفرض ارادته على صوفي كما يشاء، ولم يكن امامها الا ان تذعن. فقد اضعفتها احداث السهرة بحيث لم تعد تجد عندها اي مجال للمقاومة. لذلك راحت تروي القصة بالتفصيل:

ـ مرت خمس سنوات على زواج ايلين وسيمون قبل ان تبدأ ايلين بالاستهتار ببيتها وزوجها. وقد ظلت لمدة طويلة تخفي حقيقة تصرفاتها عن زوجها. لكن عندما تأكدت ظنونه اراد ان يطلقها حتى

قبل ان يعترف لي بحبه. غير ان ايلين هددته بتحويل حياته الى
جحيم واخذ لوسي معها اذا ما تخلى عنها.
ـ لا اظن ان هناك قاض ما يمكن ان يحكم لها بحضانة الطفلة!
تابعت صوفي حديثها بألم واضح:
ـ المحاكم تميل دائماً الى جانب الأم. وكانت ايلين قادرة على
التصرف بشكل طبيعي طيلة فترة المحكمة حتى تفوز على سيمون.
وربما كان بامكان سيمون ان يربح القضية، لكنه لم يشأ المغامرة...
اذ انه لم يستطع ان يحتمل فكرة وجود لوسي مع ايلين.
علق بهدوء:
ـ لا احد يستطيع ان يغير عاداته، ولا بد ان تظهر الشخصية
الحقيقية لايلين سواء عاجلاً ام آجلاً... وعندها كان يستطيع ان
يسترد طفلته!
ـ ولكن كم من الوقت سيستغرق ذلك، سنة؟ اكثر؟ هل تتخيل
ما يمكن ان تفعله امرأة قاسية مثل ايلين بطفلة مسكينة مثل لوسي
خلال هذه المدة؟
قال اليكس:
ـ حتى امرأة مستهترة مثل ايلين لا يمكنها ان...
قاطعته بحدة:
ـ ان ايلين تكره لوسي، وهي لا تحاول اخفاء ذلك، بل وتظهر
مشاعرها بطرق متعددة كالابتسامات والكلمات والتصرفات غير
الملموسة. ومجرد وجودها في البيت يشعر الصغيرة بالبؤس الكبير،
وان كان سيمون يقلل من هذا الواقع بتوظيف مربية خاصة لتحرسها
ليلاً ونهاراً. ان ايلين قادرة على فعل اي شيء. بل وهددت ذات مرة
بخطف لوسي الى خارج البلد اذا ما اقدم سيمون على طلاقها.
والحقيقة ان سيمون يخاف كثيراً عاقبة هذا التهديد... فهو يحب
ابنته بلهفة.
علق اليكس باقتضاب:

ـ اتحبها اكثر منك؟
ردت صوفي بنفس اللهجة:
ـ انه حب ذو طبيعة مختلفة.
غمغم بحقد:
ـ لقد رأيت الطبيعة المختلفة لذلك الحب. والآن اريد ان اعرف
كيف بدأت علاقتكما؟
همست صوفي بصوت لا يكاد يسمع:
ـ لقد بدأت بدون اي تخطيط.
كيف تستطيع ان تستعيد تفاصيل ذلك الربيع، عندما كانت في
الثامنة عشرة، وكان سيمون ينظر اليها ببراءة... الى ان حلت في
عينيه الزرقاوين نظرات اكثر جدية وخطورة.
كان اليكس يحدق فيها وكأنه يتلمس الافكار التي تدور في ذهنها.
لذلك امسك بكتفيها وجذبها نحوه بقسوة وقال:
ـ اريد ان اعرف كل شيء الآن.
ابعدت صوفي نفسها عنه وهي تستشعر التوتر يزداد في السيارة
المظلمة، وقالت:
ـ كنا نتمشى في الغابة ذات يوم بشكل عادي، ونتبادل الاحاديث
الطبيعية... عندما التفت اليه ووجدت في عينيه نظرات غريبة...
وبعد لحظات كان قد غيبني في عناق طويل.
وسكتت صوفي بعد ان عجزت عن وصف ما جرى بينهما في ذلك
اليوم المشهود. كانت الكلمات تختنق في صدرها ولا تجد لها مخرجاً.
وقد آلمها ان تعود ذاكرتها الى قبل سنوات خمس مع كل المشاعر
المتضاربة التي عاشتها منذ ذلك التاريخ الذي بدا لها بعيداً بعيداً.
صرخ اليكس بصوت متحشرج:
ـ يجب ان يتوقف كل ذلك.
عادت صوفي من احلام اليقظة وسألته مذعورة:
ـ ماذا؟

- لقد انتهى كل شيء. وعليك من الآن فصاعداً ان تنسيه.
ضحكت بعصبية قائلة:
- هل تعتقد حقاً اني لم احاول؟ لقد هجرت بيتي طيلة السنوات الثلاث الماضية كي انساه. . . لكنني لم انجح.
رد اليكس بعطف:
- من السهل ان يخدع الانسان نفسه. ومن الممكن ان تكوني قد طلبت من نفسك نسيانه، غير انه ما زال يعيش في مخيلتك، ولن تتحرري منه الا اذا اخرجته من هناك.
كانت صوفي تدرك تماماً معنى ما يقول اليكس. لكن الحرب بالنظارات سهلة جداً. فهي طيلة السنوات الخمس الماضية كانت تحاول ان تنسى، لكن قلبها وعقلها وحواسها كانت مدمنة عليه. . . واي محاولة للهروب منه انما تعني تدمير ذاتها.
قالت بهدوء:
- انني احبه كثيراً.
شعرت انها باعترافها هذا تعيد الراحة المفقودة الى نفسها. فهذه هي المرة الأولى التي تعلن فيها حقيقة مشاعرها امام طرف آخر. لقد اكتشف اليكس الواقع بنفسه، ولا مانع من ان يعرفه على لسانها، لذلك قالت مرة اخرى بصوت واثق النبرات وابتسامة عريضة ترتسم على شفتيها:
- انني احبه.
لم يرد اليكس الابتسامة بمثلها، بل اكتفى بنظرة جامدة وهو يقول:
- ليس بعد اليوم. لقد اضعت خمس سنوات من حياتك، وهذا يجب ان ينتهي الليلة. ليس هناك سبب يدعوك الى اغراق نفسك في علاقة لا جدوى منها.
ردت بلطف:
- لا احد يستطيع ان يطفىء نيران الحب.

اعلن اليكس وكأن الأمر عادي جداً:
- بل ستفعلين ذلك (ثم امسك وجهها بيديه وقال) انظري الي جيداً!
حاولت ان تتجنب عينيه الثاقبتين، لكنه اعاد قوله آمراً:
- انظري الي يا صوفي.
واذعنت صوفي بضعف، وآثار الدموع ما تزال على وجنتيها. قال اليكس بصوت رقيق:
- لقد دفعتني للاقتراب منك كثيراً. اعتقد انك لم تخططي لذلك، لكن الذي حدث قد حدث. وعليك ان تتقدمي ناحيتي.
هزت صوفي رأسها وكأن كلمات اليكس ايقظت في ذهنها مجموعة من الحقائق التي كانت خافية. لقد ابقت بينها وبين الرجال الآخرين حاجزاً سميكاً. وكل رجل قابلته بعد سيمون كان مجرد طيف، سرعان ما يرحل. حتى اليكس نفسه كان على مبعدة منها. صحيح انه اخترق ذلك الحاجز مرة او مرتين. . . لكنه ظل بعيداً. اما الآن فهو داخل الحاجز بعد ان حطمه، ويقف امامها بتحد مجبراً اياها على الاعتراف بحقائق جديدة.
تابع اليكس كلامه بلطف:
- منذ البداية عرفت انه من الصعب الوصول اليك. واعتقدت انك تبتعدين عامدة كي تجعليني اكثر اهتماماً بك. ثم اعتقدت بعد ذلك ان لديك خطة لاصطيادي في شباك الزواج. وفي مطلق الأحوال لم اصدق انك غير منجذبة الي.
ابتسمت صوفي برقة:
- ها قد عرفت الآن، لم اكن منجذبة اليك ابداً.
اضاف بنعومة:
- والآن اخبريني، لماذا تصرفت معي بذلك الشكل في الشقة بلندن؟
تمتمت بصوت خافت:

ـ كنت افكر بسيمون.

تصلب جسم اليكس غضباً، لكنه تابع بهدوء:

ـ وهذا السبب استجبت لي في بادىء الأمر! (وعندما لم يتلق اجابة منها قال) حسناً، من الآن فصاعداً ستنسين ان سيمون موجود. انت لم تحاولي نسيانه جدياً من قبل، اما الآن فستنسينه، وتحت اشرافي المباشر.

نظرت اليه صوفي باحتقار شديد وقالت:

ـ هذا اذن ما قصدته بتحويل المشكلة لصالحك. اذا اعتقدت ان الوضع الراهن سيقربك مني. . . فأنت مخطىء.

ـ لقد نسيت شيئاً مهماً، اليس كذلك؟ انت مدينة لي بشيء ما!

ـ مدينة لك بشيء ما؟

قال وهو يقترب منها:

ـ لقد انقذتك من ورطة.

ودون وعي منها ضمها الى ذراعيه بقوة. ولشدة استغرابها خارت مقاومتها على الفور، وتجاوبت مع عناقه الحنون. لكنه انسحب مبتعداً وهو يقول:

ـ الافضل لك ان تدخلي الى البيت الآن. واذا ما عرفت عائلتك عن خبر خطبتنا فلا تحاولي ان تنكري.

ـ ولكن. . .

قاطعها بحدة:

ـ عليك ان تؤكدي لهم ان ذلك صحيح.

ـ اليكس. . .

قاطعها مرة اخرى:

ـ انني اعني ذلك.

ـ لا نستطيع ان نتظاهر بالخطوبة. انك لم تفكر بنتائج هذه الخطوة. . . والدتك، عائلتك، وسائل الاعلام؟ يجب ان توقف القصة قبل ان تتطور.

قال اليكس:

ـ سنسير في الموضوع حتى النهاية.

نظرت اليه بذهول، لكنه تابع يقول باختصار شديد:

ـ سأتزوجك.

صرخت غير مصدقة ورعشة من الخوف تسري في عروقها:

ـ الفكرة ليست للتسلية.

ـ لم اقصد التسلية.

بلعت ريقها في محاولة لايجاد الكلمات المناسبة، وقالت ساخرة:

ـ لقد نسيت خططك على ما يبدو. ماذا عن الفتيات اللواتي اخترتهن لك العائلة؟ انت لا تستطيع الزواج من فتاة مثلي. . . انت قلت لي ذلك بصراحة!

اجابها بابتسامة جافة:

ـ كل ذلك غير مهم الآن.

ـ لا افهم موقفك هذا.

قال بشيء من التهديد:

ـ ستفهمين يوماً ما.

ظنت صوفي انه ما زال متأثراً بأحداث السهرة، لذلك وضعت يدها على ذراعه وقالت بلطف محاذرة ان تثير غضبه:

ـ اليكس، انني اقدر كل ما فعلته من اجلي عندما واجهت ايلين. كانت تلك اسوأ لحظة في حياتي، وانا اعترف بالجميل. واريدك ان تتأكد من ذلك. . .

قاطعها اليكس ضاحكاً:

ـ يجب ان ننتظر حتى ما بعد الزواج. . كي اكتشف كم انت ممتنة لي!

اجفلتها لهجة اليكس القاسية والجادة، فأبعدت كفها عنه وقالت بصوت مرتفع:

ـ لا استطيع الزواج منك.

اجابها بصوت رقيق لكنه مليء بالحزم:

- بل ستفعلين. لقد جعلت مني شخصاً غبياً، بعد ان حذرتك من ان احداً لا يجرؤ على ذلك معي... والآن جاء دوري لامتلاكك. اما اذا كنت ستكرهين كل ثانية من وجودك معي، فذلك مما سيزيد متعتي!

صاحت صوفي بهلع:

- يا الهي... انك مجنون فعلاً.

- سواء كنت مجنوناً ام لا، فما اريده سيحدث!

جلست صوفي في عتمة السيارة تتأمل اليكس. بات من الواضح ان تحت ذلك الوجه القاسي يعتمل غضب رهيب يكاد ينفجر بين لحظة واخرى. كانت طيلة الوقت منشغلة بأحاسيسها والورطة التي وقعت فيها، اما الآن فهي ترى ارادة اليكس القوية في الزواج منها رغم انه يعرف انها لا تريده. لماذا سمحت له ان يقترب منها الى هذا الحد؟ اي نوع من الرجال هو؟ لماذا يحاول اجبارها على الزواج؟ لعله يتصرف كنوع من العقاب على ما بدر منها، او انه يريدها ان تعاني جزاء حبها لسيمون. همست بهدوء:

- هل كنت تعتقد انني غارقة في حبك؟

حدق فيها بنظرة عدائية قائلاً:

- نعم.

صرخت بصوت مرعوب:

- اه، ولكن لماذا؟

- اعتقدت انك تحبينني لانك رفضت جميع عروضي!

هزت صوفي رأسها غير مصدقة، وقالت:

- انت مجنون!

- كنت غبياً لاعتقادي بأنك مهتمة بي في ذلك الصباح بلندن، عندما بكيت في مكتبي... هل تذكرين؟ كان التفسير الوحيد امامي انك تحبينني. هذا هو سبب مجيئي الى هنا! كنت اريد ان ابدأ حياتي

معك من جديد. فقد اكتشفت ان الذي اشعر به نحوك جدي جداً، واعتقدت انه من الممكن ان اقع في غرامك. كانت تلك المرة الوحيدة في حياتي التي احسست فيها ان الحب يمكن ان يغزو قلبي. ثم اكتشفت انك خدعتني وكذبت علي مثل الاخريات. لقد ولدت النساء كاذبات. كنت معتوهاً لاعتقادي بأنك مختلفة. وستدفعين ثمن حجب الحقيقة غالياً. حذرتك من قبل بأن احداً لا يفلت من عقابي اذا ما خدعني... وانت لن تفلتي من العقاب!

- لم استغفلك ابداً.

رد وهو يصر بأسنانه:

- بل فعلت!

- لم اخبرك عن سيمون من قبل لأن الأمر ليس من شؤونك. ان مثل هذه الأشياء لا تطلب وكأنها معلومات تضاف الى طلب الوظيفة. انها حياتي ولا علاقة لأحد بها. ومهما يكن فأنا لم احاول اجتذابك ابداً، كنت واضحة منذ البداية، انا لا اريدك، ولا اطمح في الزواج منك... ولا اريدك حتى ان تقترب مني.

صرخ اليكس بفظاظة وقد اثارته عبارتها الأخيرة:

- ارفضي كما يحلو لك. ستتزوجينني حتى لو اضطررت الى حملك على الاذعان بالقوة...

٨ - قرار لا رجعة عنه

في صبيحة اليوم التالي نزلت صوفي الى غرفة الجلوس لتجد ان خبر خطوبتها قد بلغ اسماع العائلة، وكان ذلك واضحاً من الطريقة التي كانوا يتكلمون بها بحماس حول الموضوع. وعندما فتحت باب غرفة الطعام، خيم صمت ثقيل تخللته نظرات من افراد العائلة تحمل تعابير غير مصدقة ومبهورة للانباء السارة التي وصلتهم مع هذا الصباح.

لم يأت احد على سيرة اليكس، لم يطرحوا اية اسئلة. وشعرت صوفي بأنهم قبلوا الموضوع من جميع اوجهه قبل التوصل الى قرار بعدم التطرق اليه والتظاهر بعدم معرفة اي شيء. . . وانتظار ان تثير صوفي نفسها الموضوع.

استيقظت صوفي متأخرة ذلك النهار، وكانت ما تزال تشعر بالتعب والارهاق بعد الخضات العاطفية التي عصفت بها ليلة امس. لم تشعر بالرغبة في التحدث الى احد، وخاصة حول موضوع الخطوبة غير المتوقعة.

يجب ان تجتمع الى اليكس اليوم وتحاول ان تقنعه بحماقة ما هو مقدم عليه. ولا بد ان يكون قد اكتشف خطأه في هذا الصباح وغير رأيه. فليلة الأمس كان تحت تأثير الغضب والانفعال، اما اليوم فسيرى الامور بمنظار مختلف. انه على استعداد لازالة هذا الاشكال بطريقة او بأخرى. فقبل يومين فقط ابلغها بشكل مباشر انه

لا يمكن ان يتزوج فتاة مثلها. وهو محق فعلاً بموقفه ذاك. فرجل في مثل مركزه الاجتماعي والمالي لا يمكن ان يتزوج الا فتاة تليق بمكانته الاجتماعية وتنسجم مع عالمه الخاص.

لم تستطع صوفي ان تدرك السبب الذي دفعه الى اتخاذ الموقف المفاجئ ليلة امس. ربما كانت شهامته او شعوره بالغضب. ربما لأن ايلين اثارت حفيظته فاندفع بجنون. لا شك انه نادم عليه الآن.

لكن لماذا واصل طرح الفكرة نفسها في السيارة وهما منفردان؟ فاجأها قوله انه كان يعتقدها متولهة في حبه، وأثار حيرتها اصراره الجنوني على الزواج منها كوسيلة للانتقام من خيانتها المزعومة.

ابتسمت صوفي بهدوء لأمها وهي تتناول طعام الافطار. كانت تفكر بأنه سيتصل بها لحل الاشكال الذي حدث امس، وركزت نظرها على الهاتف بانتظار مكالمة منه ينهي بها كل شيء. غير ان الهاتف ظل صامتاً. . . قبل ان يرن بازعاج، لتفاجأ بأن الصحيفة المحلية تتصل لمعرفة تفاصيل الخطوبة. كان الصحافي على الطرف الآخر مؤدباً ويطرح اسئلته بحذر شديد، فلم تجبه الا بعبارة «لا تعليق» ثم وضعت السماعة بسرعة.

رن جرس الهاتف مرة اخرى، فأحست صوفي وكأن افعى سوداء تكاد تخنقها. لكن باتسي انقذتها بالقول:

- هل اجيب على الهاتف؟

هزت صوفي رأسها موافقة وقالت:

- لا تقولي لهم اي شيء.

ابتسمت باتسي بسخرية قائلة:

- كيف اقول لهم شيئاً لا اعرفه؟

ابتعدت صوفي، بينما ردت اختها بالقول ان احداً في البيت لن يتحدث في الموضوع. وما ان وضعت سماعة الهاتف، حتى قرع جرس الباب فصرخت صوفي بهلع:

- آه. . . لا.

قالت باتسي بعطف:

- سأرى من الطارق هيا اختفي عن الانظار!

اسرعت صوفي من خلال الفسحة الى الحديقة الخلفية دون الاهتمام بوالديها المذهولين. وعندما اصبحت في الخارج نظرت دون وعي الى البيت الريفي المجاور، فأحست بألم يعصر قلبها وقالت بصوت خافت:

- سيمون . . . مسكين سيمون.

وفكرت ان اليكس كان محقاً عندما قال لها امس بأن سيمون سيكرهها بعد اكتشاف خيانتها. لكن لماذا لم يتصل اليكس بعد؟ هل ما زال غارقاً في النوم؟ انه يستيقظ باكراً في العادة ويبدأ العمل بالاتصال الهاتفي بمكاتب امبراطوريته الواسعة. وحتى عندما يجلس الى طاولة الافطار، كان يضع الى جانبه مجموعة من الاوراق التي تحتاج الى موافقته وتوقيعه. غير ان شعورها يؤكد لها انه نام متأخراً ليلة امس. ربما عاد الى لندن، وربما ذهب الى فندق مجاور. . . ليس لديها اية فكرة عن المكان الذي توجه اليه بعد ان اوصلها الى البيت امس!

راحت تذرع الحديقة جيئة وذهاباً وهي تحس برجفة خفيفة بالرغم من اشعة الشمس الدافئة. انها خائفة من مواجهة الاسئلة والاستفسارات من الجيران والاقرباء والصحافة. كم تتمنى لو جاء اليكس اليها ليكون الى جانبها في مواجهة الفضوليين، فهي لم تعد تعرف كيف تتصرف. لقد وعدته امس بعدم انكار موضوع الخطوبة، ولن تتراجع عن كلامها ابداً. لكن عليه ان يأتي او يتصل بسرعة كي يسمح لها بالافصاح عن الحقيقة.

رفعت صوفي عينيها الى الاعلى، فوجدت اليكس منتصباً قرب الباب الخلفي للبيت وهو يحدق بها بهدوء. اسرعت ناحيته وهي تشعر بالارتياح الشديد.

- اليكس، الحمدلله! اليكس ارجوك يجب ان توقف ايلين عند

حدها، فقد اذاعت الخبر في المنطقة كلها.

وضع يديه على كتفيها لاحتضانها، فأبعدته صوفي بقسوة. غير انه ضمها بالقوة وقال:

- افهمي ما اقول جيداً: انت ستتزوجينني!

لم تصدق صوفي اذنيها، اذ كانت تأمل ان يعيد الصباح المنعش الى اليكس صوابه بعد ليلة الغضب امس. الا ان ابتسامته الساخرة حطمت كل امانيها. قالت:

- انت لا تعني ذلك حقاً. ارجوك يا اليكس.

قال بلهجة حازمة:

- بل اعني كل كلمة قلتها. هل ظننت انني العب معك؟ انني جاد تماماً.

غمغمت صوفي بصوت مختنق:

- لا يمكنك ارغامي على الزواج منك. .

واجهها بتحد وسخرية:

- بل استطيع، وسأفعل. لديك خيار وحيد يا صوفي، اما ان تأتي بهدوء او سأضطر لاستعمال القوة. فاذا ما سلمت امرك لي تسلمين من الاذى، اما اذا ارغمتني على استعمال العنف فانت وحدك الخاسرة

رفعت عينيها نحوه كأنها لا تصدق تهديداته، لكنه تابع يقول وابتسامة عريضة تتخايل على شفتيه:

- انا لا اقف عند حد للحصول على ما اريد. . . الم تعرفي هذا حتى الآن؟

رفع يده وراح يلاعب خدها المتضرج بحمرة الغضب. كان الناظر اليهما من البيت يشعر وكأن حديث حب ذلك الذي يدور بينهما في الحديقة. لكن خلف تلك الابتسامة المرتسمة على وجه اليكس، كانت هناك ارادة حاسمة لا تعرف التردد.

قال لها بهدوء:

- والدتي جاءت معي. فاذا ما تصرفت امامها بطريقة تثير الشك، فلسوف تندمين.

تحركت صوفي بلا وعي ناحية البيت وكأنها تريد طلب النجدة من السيدة الكبيرة. لكنه اضاف يقول بلا مبالاة:

- انني احذرك يا صوفي. اريد والدتي ان تظن اننا مغرمان ببعضنا البعض. كانت لديها فكرة بسيطة عن الأمر مسبقاً، ولذلك لم اجد صعوبة في اقناعها اليوم. فاذا ما رأتك كالأموات الآن فستشك بالقصة من اساسها. عندما تدخلين الى البيت اريد ابتسامة عريضة. . . حتى لو كانت ابتسامة الموت.

سألته صوفي بصوت مرتجف:

- لماذا تعذبني بهذه الطريقة؟

اجابها وعيناه تقدحان شرراً:

- اخبرتك السبب امس، ولا داعي للتكرار.

- هذا جنون. ارجوك يا اليكس كن عاقلاً!

ابتسم بهدوء وقال:

- امي تنظر الينا من النافذة، فهيا بنا الى الداخل. اريدك ان تقنعي والدتي بأنك سعيدة. واياك ان تظهري علامات توحي بشيء آخر غير ذلك!

تنهدت صوفي بألم وهي تنظر الى البيت الريفي المجاور حيث حبها الأول. راقبها اليكس بامعان، ثم قال بصوت قاس:

- لقد طلبت منك ان تنسيه. انه لم يوجد قط من قبل. واجهي الأمر يا صوفي، لن تستطيعي الحصول عليه ولا يمكنك ان تعيشي حياة فارغة!

فكرت صوفي بألم: وهل ستكون الحياة اقل ألماً عندما تتزوج رجلاً اخر لا تحبه؟

قال اليكس بالحاح:

- ابتسمي! انت ممثلة ممتازة يا صوفي. لقد راقبتك مساء امس

وأنت تمثلين باتقان. طيلة الوقت كنتما تبتسمان بأدب كأنكما مجرد صديقين، بينما انتما في الحقيقة عكس ذلك. ولذلك يمكنك ان تمثلي الآن دون اية صعوبة.

وضع ذراعه حول كتفيها وقادها الى البيت. واستجمعت صوفي كل ما لديها من قوة لزرع ابتسامة صفراء على وجهها عندما احتضنتها السيدة ليفكاس هاتفة:

- صوفي يا صغيرتي. . . لقد خمنت ذلك! منذ البداية واحساسي يخبرني بشيء ما بينكما (ثم اضافت بعد تبادل القبلات والعناق) انا سعيدة جداً. كنت قد بدأت اعتقد بأن اليكس الشرير لن يعرف طعم الحب الحقيقي. . . الى ان رأيت الطريقة التي كان ينظر بها اليك.

علق اليكس بهدوء:

- انت مسرورة بنفسك لانك انت التي اخترتها. ومن الطبيعي الآن ان تدور الاحاديث بينكما حول سقوطي، هيا اعترفي، كنت تتآمرين علي يا امي أليس كذلك؟

ردت السيدة بابتسامة عريضة وهي تحتضن كف صوفي بكلتا يديها:

- لست خجولة من ذلك. لقد سررت جداً عندما لاحظت انك واجهت هزيمتك القاسية.

نظرت صوفي بقلق الى افراد عائلتها الذين ما زالوا مذهولين من تتابع الأحداث، فانتبه اليكس وقال:

- لقد فسرت لهم يا حبيبتي انني طلبت منك ان لا تخبري احداً قبل ان احضر انا وامي. اظن ان والديك تألما قليلاً لانك لم تطلعيهما على الحقيقة.

همست صوفي وهي تقلب النظر بين والدها ووالدتها:

- انا آسفة جداً. لكن اليكس اصر على الكتمان.

صاحت بانتي بزهو:

- آه . . . انا عرفت ان كل ذلك الحديث المرتجل عن عدم معرفتك به انما هو ذر للرماد في العيون. خاصة احداث الليلة الماضية . . . نحن لسنا اغبياء الى هذا الحد.

ابتسم اليكس بلطف:

- لم نقصد ذلك ابداً.

لاحظت صوفي ان اليكس يستعمل كل سحره للتأثير على عائلتها. ويبدو انه نجح تماماً مع والدتها التي كادت تطير من الفرح بحيث لم تعد تعرف ماذا تفعل لتخفي اضطرابها وتوترها.

قال والدها ممازحاً:

- لن اسألك كالعادة عن امكانياتك المادية!

هز اليكس رأسه ضاحكاً:

- لا داعي للخوف على صوفي من الجوع (ثم وضع ذراعه حول كتفي صوفي وقال) انا اعرف كيف اعتني بممتلكاتي.

توترت اعصاب صوفي لعبارته الأخيرة، لكن كلمات السيدة ليفكاس حولت مجرى الحديث:

- والآن، ماذا بالنسبة الى حفلة الزفاف؟ اعتقد ان عائلتنا تريد ان تقيمها في بلادنا، واظن انكم تفضلون اقامتها هنا بالطبع . . . وربما نستطيع التوصل الى حل وسط . . . حفلة مزدوجة؟

عضت صوفي على شفتها السفلى متألمة من هذا الحديث. غير ان اليكس قاطع امه قائلاً:

- سنتزوج في كريت. صوفي تريد ذلك، واي واحد من افراد عائلتها يستطيع ان يشاركنا الفرحة ونحن سنؤمن رحلة الطيران.

شعرت صوفي بخيبة امل امها التي تنهدت بصوت مسموع، الا ان والدها علق بسرعة دون ان يخفي سعادته:

- نحن نرغب ان تكون صوفي سعيدة اولاً واخيراً. ولا شك انه من الأفضل لك ان تتزوج في بلادك بين اهلك واصحابك!

لم يفت صوفي ان تلاحظ الرغبة الحقيقية وراء موقف ابيها. فهو لم

يشأ ان يرتبط بحفلة سيحضرها اغنى اغنياء العالم، مع ما يعنيه ذلك من مصاريف باهظة لا يستطيع احتمالها. اما امها فهي تحلم بهذه الحفلة حتى لو رهنت كل ما تملك لجعلها تليق بابنتها صوفي.

بعد ذلك دارت احاديث متنوعة بين العائلتين. وكانت اكثرهم تحمساً باتسي التي غرقت في حوار ضاحك مع السيدة ليفكاس. اما صوفي فقد كانت تفكر بموقفها الصعب بعد رحيل اليكس وامه. فلا شك ان هناك عشرات الاسئلة المحرجة التي يستعد اهلها لطرحها عليها ولم يفعلوا ذلك بحضور اليكس. والصعوبة كلها تكمن في عدم رغبتها بالكذب عليهم. غير ان اليكس فطن لهذا الأمر، لذلك قال قبل مغادرة البيت:

- يجب ان نأخذ صوفي معنا. فالصحافيون سيملأون المنطقة اذا ما ظلت في البيت (ثم اضاف بعد تردد) . . . ثم انني اريدها معي!

ضحك الجميع بهدوء، وقال والدها وهو ينفض غليونه في منفضة مجاورة:

- هذا كلام صريح وواضح!

وادركت صوفي انها وقعت في الفخ الذي لا فرار منه، فقالت باذعان:

- سأصعد الى غرفتي لتحضير حقائبي.

في الطابق العلوي انفردت صوفي مع امها لدقائق. قالت والدتها وعيناها تلمعان زهواً وسعادة:

- طبعاً عرفنا السر! عندما حضر الى هنا بصورة غير متوقعة عرفت ان هناك شيئاً ما. لقد كان لطيفاً جداً معنا امس، ولاحظت انه حاول التعرف الينا فرداً فرداً. كنت تتصرفين بسرية شديدة يا صوفي، بينما كان بامكانك ان تلقي الينا ببعض الاشارات الموحية!

قالت صوفي دون ان ترفع عينيها عن الحقيبة:

- لم اكن راغبة في قول اي شيء، قبل التأكد من الأمر.

- انا افهم موقفك، انها قصة خيالية فعلاً. آه يا صوفي، انا

متحمسة جداً. كيف تستطيعين ان تحافظي على هدوئك هكذا؟ ان والدته طيبة جداً، وهو لطيف المعشر، لماذا اعطينا فكرة سيئة عنه بالقول انه رجل عابث؟ يومها اعتقدت انك تقصدين ذلك فعلاً . . . لكنك كنت مغرمة به طيلة الوقت. انت دائماً فتاة هادئة، وكما يقولون المياه الهادئة تكون عميقة وقوية.

لم تعجب صوفي بالتعبير الأخير الذي استعملته امها. فأصدقاؤها ومعارفها يقولون عنها الشيء نفسه. لكن لو انهم يعلمون الحقيقة؟

واصلت امها الحديث بحماس:

ـ هل هو مجد فعلاً في موضوع ترتيب امور السفر لجميع افراد العائلة؟ المشكلة ان الذين لا ندعوهم سيغضبون. يجب ان تجلس بهدوء وتسجل قائمة الاسماء. متى ستجري الحفلة؟ اظن ان الترتيبات تحتاج الى وقت طويل. ستكون حفلة ضخمة جداً، فهو رجل معروف والدعوة ستشمل العديد من الناس المهمين.

كانت صوفي ترغب بأن تطالب امها بالصمت التام حول هذا الموضوع، لكنها لم تفعل، واكتفت بمتابعة ترتيب حقيبتها. اما الأم فلم تهتم بصمت ابنتها. فقد كانت حماستها اكبر من ان تدعها تلاحظ ما يعصف بذهن صوفي من افكار ومشاكل.

سمعتا قرعاً خفيفاً على الباب. فالتفتتا لتجدا اليكس واقفاً هناك وهو يسأل:

ـ هل انت جاهزة يا حبيبتي؟

ودون انتظار اجابتها اقترب منها واغلق الحقيبة قائلاً:

ـ للأسف هناك بعض الصحافيين في الخارج. واختنق بح صوتها وهي تطلب منهم الانصراف.

ذهبت والدتها الى النافذة، ثم هتفت:

ـ يا الهي، هناك حشد من الناس امام البيت.

علق اليكس بصوت جاف:

ـ يؤسفني ان يكون وجود الصحافيين والمصورين قد تسبب في اثارة فضول الاهالي هنا (ثم التفت الى صوفي بلهجة آمرة) لا تتفوهي بكلمة امامهم، دعي لي هذه المهمة.

هزت صوفي رأسها باذعان، وتركته يقودها بصمت وهي تتمنى ان يكون كل ما يجري مجرد كابوس سيزول بعد ساعات قليلة. لكن لا مجال للشك، فهذه امه وهذه عائلتها وهذا هو . . . يهمس باذنها قرب الباب:

ـ هيا بنا الآن. يجب ان نواجههم قبل ان يزداد الحشد اكثر.

شق الثلاثة طريقهم بصعوبة وسط حشد الصحافيين والفضوليين. وقد ساعدهم السائق في ابعاد الناس عن سيارة الليموزين، في حين كان اليكس يرد على اسئلة الصحافيين بهزة خفيفة من رأسه. واخيراً احتضنتهم السيارة واسرعت بهم الى لندن.

تنهدت السيدة بارتياح:

ـ الحمد لله، انتهى كل شيء على ما يرام. ماذا ستفعل يا اليكس الآن؟

ـ نذهب اولاً الى لندن، ثم تذهبين انت وصوفي الى كريت بينما ارتب انا حفل الزفاف بعد ان اراجع جدول اعمالي لهذه السنة. يمكنك انت وصوفي ان تعدا قوائم المدعوين، واقترح عليكما ان يقتصر الحضور على الاقرباء والاصدقاء الحميمين فقط.

كانت صوفي جالسة في الوسط تستمع الى حديث اليكس وامه وكأنها غير موجودة.

تمنت لو ان كل الذي يجري هو مجرد حلم خيالي فظيع، وتمنت لو تستيقظ منه فتجد نفسها بين افراد عائلتها وكأن شيئاً لم يكن.

كان الاسبوع التالي صعباً ومتعباً. فقد ظلت هي والسيدة الكبيرة في لندن لانهاء بعض الاعمال. وطيلة الوقت، وجدت نفسها في حالة عرض مستمر. كل افراد عائلة ليفكاس والاصدقاء ارادوا بدافع الفضول ان يتعرفوا الى عروس اليكس . . . او فتاة الاحلام

التي كانوا ينتظرونها جميعاً. وقد ادهشهم اختيار اليكس لها بغض
دون ان يعرفوا شيئاً عنها او عن عائلتها. ولاحظت صوفي ان عدداً
منهم اعتبر قرار اليكس نوعاً من الجنون، وقد سمعت احدى
العمات تقول لقريبة اخرى:

ـ انها فتاة جميلة، ولكن هل جن اليكس؟

فكرت صوفي في سرها ان اليكس قد جن بالفعل. وكل يوم
يمضي تتأكد لها هذه الحقيقة. فبعد الأشهر الطويلة التي عاشتها مع
السيدة الكبيرة، باتت تدرك ان دنيا اليكس ليست دنياها، وانها غير
مستعدة لهذا النوع من الحياة.

ويوماً بعد يوم بدأ امل كاذب يراودها بأن يدرك اليكس قبل فوات
الأوان حماقة ما هو مقدم عليه، ويعلن فك الخطوبة. ومما زاد في آمالها
تلك، انها لم تره كثيراً في لندن، وظنت انه يفعل ذلك كوسيلة
للتخلص من المشكلة التي جلبها لنفسه ولها ايضاً.

قبل يوم من سفرها والسيدة الكبيرة الى كريت، قالت الأم
بسخرية مخاطبة اليكس على العشاء:

ـ لم تر صوفي كثيراً طيلة الفترة الماضية. اما الليلة فسألعب انا دور
كيوبيد الغرام واتركك لوحدكما تفكران في المستقبل. انت تعرف
انني افضل النوم باكراً عشية السفر... وهكذا سيخلو لكما الجو.

انعقد لسان صوفي هلعاً عندما تركتهما السيدة لينكاس وانصرفت
الى غرفة نومها. كانا يجلسان على الاريكة يحتسيان القهوة، فلاحظ
نظراتها المرعوبة نحوه، فقال:

ـ كفي عن النظر الي وكأنني مجنون خطير.

تمتمت وهي تحدق في فنجان القهوة:

ـ ما زال هناك متسع من الوقت لابلاغ الناس بأننا غيرنا رأينا.

رد بصوت هادئ وحازم:

ـ لكننا لم نغير شيئاً.

ـ اليكس!

صرخ بنفاد صبر:

ـ دعك من هذه الألاعيب. اما زلت تفتشين عن ثغرة للهروب؟
ستروج قريباً ولا رجعة في الأمر!

هتفت صوفي وعيناها تتضرعان اليه:

ـ انت تتصرف بعناد فقط!

حدق فيها مطولاً وقال:

ـ اشربي القهوة واريحي اعصابك.

رفعت صوفي عينيها الى وجهه القاسي وقالت بيأس:

ـ انت تستمتع بغطرستك هذه، أليس كذلك؟

رد بسخرية:

ـ هذا صحيح. وسوف اتمتع اكثر فأكثر!

لم تجرؤ على النظر اليه مباشرة، فقد كانت عيناه الرماديتان
تلسعان وجهها وكتفيها وظهرها. وهي لا تريد ان تتورط في شيء،
خاصة وان هذه هي الليلة الأخيرة لها في لندن. ولكن لماذا يتصرف
بهذه الطريقة؟ ربما شعر بشيء خاص تجاه صوفي بعد ان اكتشف انها
غير النساء اللواتي عرفهن. وقد اكد له تلك الحقيقة بكلامها في
صبيحة اليوم الذي سبق عودتها الى بيتها. وعلى هذا الاساس خطفها
كي يعتذر ويصلح خطأه. لكن عندما شاهدها مع سيمون تحول
الشعور العاطفي الى نوع من الحقد والغضب دفعه الى الانتقام...
عن طريق الزواج

ان صوفي تدرك تماماً انه سيعذبها بعد الزواج. فهو يريدها ان تتألم
جزاء ما اعتبره خيانة لمشاعره. وبعد ان يتحطم سيهملها الى غير
رجعة. وما التلطف الذي يظهره الآن، الا قمة جبل جليدي يظهر
على السطح في حين حقيقته الكبرى خافية تحت قناع بارد صلب.

كان عليها منذ البداية ان تشرح له بصراحة عدم انجذابها اليه.
لكنها فعلت اكثر من مرة، وربما كان هذا سبباً رئيسياً في موقفه
المتصلب الآن. لعله اعتبر رفضها تحدياً له وهو الذي يحصل على كل

شيء متى اراد؟ ولعل الزواج هو من ضمن الوسائل التي تكفل له تحقيق غاياته واهدافه؟

ومهما كان السبب والاسباب الحقيقية لزواجه منها، فقد باتت صوفي مقتنعة بأن اليكس يخفي نوايا اخرى تجاهها. لكن ماذا يريد ان يفعل؟ هذا ما ستجيب عنه الأيام فقط.

فجأة تحرك نحوها، ومع انها كانت تتوقع منه مثل هذه الخطوة، الا انها اجفلت وهي تقول:

- ارجو ان تبتعد عني يا اليكس.

رد بسخرية:

- لكنني ادفع ثمناً كبيراً جداً مقابل الزواج منك!

حاول ان يعانقها بالقوة رغم مقاومتها الضارية. وفي خضم هذه المحاولات همدت صوفي فجأة... وغابت عن الوعي بين يديه. وكان آخر شيء شعرت به يده وهي تربت على وجهها كي تعيدها الى ارض الواقع.

فتحت صوفي عينيها بعد مدة، تخيلتها طويلة جداً، لتجد اليكس راكعاً قربها وفي يده كوب من الماء. لاحظت انه شاحب الوجه، ولكن عينيه الرماديتين ما زالتا تحملان المشاعر القاسية نفسها. لم تكن قادرة على الكلام، وتركته يرفع رأسها المنهك ويصب بضع قطرات من الماء على شفتيها ووجنتيها، ثم قال:

- الافضل ان تذهبي الى الفراش.

ساعدها على النهوض، واسندها من خاصرتها وسار بها نحو غرفة النوم. غير ان قدميها لم تحملاها سوى بضع خطوات، فاضطر اليكس الى حملها بين يديه وهو يتمتم بكلمات يونانية غاضبة. وعندما وضعها برفق على الفراش، قال بصوت متحشرج:

- استطعت الليلة ان تهربي مني... لكنك لن تفلتي الى الأبد (ثم سار نحو الباب وقال قبل ان اطفأ النور) تصبحين على خير يا صوفي... تصبحين على خير.

تمددت صوفي في عتمة الليل وهي تفكر. الحقيقة انها لم تكن تتوقع مثل هذا الغضب من اليكس. لا بد وانه جاد في ابدائها والانتقام منها. فخلف هذا الوجه اليوناني الجميل تكمن مشاعر بركانية غاضبة مماثلة لتلك التي تنام تحت جزيرة كريت الرائعة.

لكنها تستطيع ان ترفضه... انها متعلمة ومتحررة وتعيش في القرن العشرين. ولن تترك لرجل كشف كل اقنعته المزيفة ان يجبرها على زواج لا تريده.

وفي عتمة الليل، ادركت صوفي ان اليكس لا يمزح، وانه لن يدعها تفلت من يديه مهما كان!



٩ - المستقبل الحالك

بعد ثلاثة أشهر كانت صوفي تقف على الرمل الذهبي ترقب مياه البحر الزرقاء وهي تلامس قدميها بلطف، ثم تعود مرة اخرى الى الوراء. وعلى امتداد الافق، كانت السماء صافية والهواء عليلاً يلامس سعف النخيل المزروعة حتى حدائق الفيللا، التي ازدانت بأقواس الفرح والزينات استعداداً لشهر العسل الموعود.

وصلت صوفي واليكس متأخرين ليلة امس من سهرة عند احد الاصدقاء. كانت تشعر بتعب وارهاق لدرجة انها وجدت صعوبة في خلع ملابسها قبل الارتماء على الفراش الوثير. فلقد كانت الأشهر الماضية غريبة فعلاً، عاشتها وكأنها في غيبوبة... او كأنها منومة مغناطيسياً وأيد قاسية تقودها الى الزواج دون ارادة منها. لم تكن قادرة ان تصدق حتى الآن بأن ما يحدث هو الحقيقة المجردة، ولذلك لم تقدم على اية خطوة لمنعه. بل عملت مع السيدة الكبيرة لاعداد الترتيبات اللازمة وكأن الفرح لصديقتها وليس لها. وكانت تفتح مئات الهدايا التي تدفقت من مختلف انحاء العالم دون ان يهتز لها جفن. انها الآن في مرحلة تبلد المشاعر والأحاسيس بانتظار ما ستحمل لها الأيام.

لم تر اليكس طيلة الأشهر الماضية الا قليلاً. غير ان صورته لم تفارق تفكيرها. كانت تسترجع دائماً صورة الرجل القاسي المستعد لفعل اي شيء من اجل الحصول على مرامه. اكثر من مرة جاءتها

الرغبة بالهرب من الجزيرة كلها... لكنها لم تفعل، بل ظلت هناك تشرف على الترتيبات وتفتح علب الهدايا... وتجري البروفات على فستان الزفاف.

في خضم هذه الحياة الصاخبة، كانت صوفي تجد صعوبة في استرجاع صورة سيمون. وحتى العاطفة المكبوتة التي احستها تجاهه ذات يوم غابت لتحل محلها مشاعر الخوف والقلق. وعندما وصلتها هدية من ايلين وسيمون، لم تجد صعوبة في فتحها وقراءة البطاقة المرفقة بها والتي كتبت ايلين فيها: «تهانينا يا عزيزتي صوفي. لقد كنت بمنتهى الذكاء. طبعاً سيمون يتمنى لك اطيب الأيام». وباهمال شديد مزقت صوفي البطاقة ورمتها فوق كومة الاوراق الكرتونية التي سيحملها هيكتور بعد لحظات ليجعلها طعماً للنيران.

وصل اليكس الى الفيللا قبل موعد حفل الزفاف بيومين، دون ان يتغير شيء في مشاعره القاسية تجاه صوفي التي ازداد توترها وقلقها. وحدها السيدة الكبيرة كانت تظهر الفرح الحقيقي الذي ملأ غرف الفيللا وقاعاتها حتى قبل ان يبدأ المدعوون بالحضور.

جرى استئجار مجموعة من الفيللات المجاورة لاقامة الضيوف القادمين من مناطق متفرقة. اما والدا صوفي وشقيقتها يانسي فقد تم اسكانهم في الفيللا... وسرعان ما اندمجوا ايضاً بالاستعدادات المحمومة لليوم الكبير.

جرى كل شيء بلمح البصر. ولم تعد صوفي تذكر من احتفال عقد القران الا برودة الخاتم الذهبي عندما وضعه اليكس حول خنصرها، وطبعاً نظراته الرمادية القاسية التي تحمل التهديد المباشر. وحدث الشيء نفسه في حفل الاستقبال الذي تلى مراسم عقد القران. وجوه تذهب واخرى تأتي، وهي واقفة هناك تصطنع الابتسامات العريضة، بينما افكارها مضعضعة وشاردة في بعيدة عن كريت واليونان كلها.

كان سيمون وايلين مدعوين من قبل والدتها. ومع انهما كانا

موجودين في غرفة الاستقبال الواسعة، الا ان صوفي لم تحس بوجودهما ابداً. وهذا ما يدل على نجاح اليكس في عزلها عن العالم كله. لقد استطاع ان يأخذها اسيرة الى مكان بعيد عن البشر دون ان يفسح لها مجال العودة. وهذا الخاتم الذهبي هو التتويج الأخير لسيطرته الكاملة.

استيقظت صوفي في صبيحة اليوم التالي ورأسها مثقل بالمتاعب والأحزان، لتجد اليكس منهمكاً في بعض اعماله. احضر لها الخادم العجوز طعام الافطار الى السرير وابلغها ان السيد ليفكاس يجري اتصالاً هاتفياً مع نيويورك.

ماذا سيقول الناس عن رجل يعمل في صبيحة اليوم التالي من شهر العسل؟ ليقل الناس ما يشاؤون، اما صوفي فهي مرتاحة لوجودها وحيدة بعد نهار امس الحافل. وعند الغداء جلسا بهدوء محاطين بأفراد العائلة، وتبادل الجميع العبارات العادية، الى ان دعي اليكس لمخابرة هاتفية خارجية. وعندما عاد قال بلطف:

- هناك بعض المشاكل في فنزويلا. واعتقد انني سأضطر الى مغادرة الفيللا بعد ايام قليلة!

توجهت صوفي الى شاطئ منعزل خاص ملحق بالفيللا. وقد اخبرها الخدم ان احداً لن يزعجها هناك، فالطريق الى الشاطئ يمر عبر حديقة الفيللا او من خلال منحدرات صخرية قلما يجرؤ انسان على اجتيازها.

مضى بعض الوقت على صوفي المستلقية بكسل فوق رمال الشاطئ الذهبية، عندما سمعت خلفها وقع اقدام، فالتفتت لتجد اليكس مرتدياً ثياب البحر وقد انعكست اشعة الشمس الساطعة على شعره الأسود اللامع.

سألته بلطف:

- هل حددت طبيعة المشكلة في فنزويلا؟

رد بلا مبالاة:

- تقريباً (ثم التفت اليها وهو يقترب من الماء) هل ستشاركينني السباحة ام انك باقية في مكانك لمراقبتي؟

انضمت اليه في الماء وراحت تسبح بعيداً عنه. هتف بها قائلاً:

- هيا بنا، حان وقت الذهاب.

تبعته بانكسار عبر الحديقة ثم الى غرفة النوم، حيث جلسا على الشرفة المنعزلة يتأملان الشاطئ الرملي والنخيل والحدائق الملحقة بالفيللا. وبعد دقائق حطم صوت اليكس الصمت قائلاً:

- انت تجعلينني اتصرف كالمجنون. ولا يوجد رجل يحب ان تعامله امرأة بهذا الشكل.

تهدج صوت صوفي وهي تقول:

- ولا توجد امرأة تحب ان يعاملها رجل كالحيوان!

رد بقسوة:

- انني اعاملك بالطريقة التي ترغمينني على معاملتك بها. لو انك سلمت امورك اليّ لكانت الأحوال مختلفة.

صرخت بصوت مضطرب وهي تنهض الى الداخل:

- لن اسلم امري اليك ابداً.

- والى اين انت ذاهبة الآن؟

- الى الحمام... فأنا لا اريد ان اكون معك.

نهض اليكس بعنف وهوى على وجهها بصفعة قوية، فأطلقت صوفي صرخة ألم خفيفة ممزوجة بدموع غزيرة متألمة. حدق فيها مطولاً وكأنه ندم على ما بدر منه، ثم قال:

- لم يكن من المناسب ان تقولي لي ذلك. يا الهي، هل تريدين ايصالي الى الجنون الكامل؟

تعلقت نظراتها للحظات، قبل ان يغادر اليكس الغرفة ضارباً الباب خلفه بعنف مما جعل النوافذ تهتز. اما صوفي فقد اغتسلت بسرعة، وعادت الى سريرها الزهري اللون محاولة الا تفكر بشيء والا تشعر بشيء. الا انها لم تستطع. فمأساتها مع اليكس اكبر من

ان تنتهي بيوم او حتى بشهر.

فكرت بالصفعة التي هوى بها على وجهها. لماذا يصر على ملاحقتها رغم رفضها العلني له؟ ام انه يفعل المستحيل للوصول اليها بسبب هربها منه؟ لم تجد الجواب على تساؤلاتها، فأغرقت وجهها في الوسادة وهي تنتحب بألم وحرقة.

لم تعد تحتمل هذه الحياة. انها لم تعد الشخص نفسه الذي تعلق بسيمون قبل خمس سنوات. لقد استطاع اليكس ان يترك بصماته على عقلها وقلبها وجسمها. لكن كيف يمكن ان تتحول مشاعر الكراهية الى احاسيس اخرى مختلفة؟ عندما هوى اليكس عليها بتلك الصفعة، كان كأنما يحطم جداراً حاجزاً حبست فيه نفسها منذ خمس سنوات. لم تكن صوفي لتتخيل ان اليكس قد مس شغاف قلبها، في الماضي كان سيمون يحتل قلبها وعقلها، اما اليكس فهو يسيطر اليوم على قلبها وعقلها وجسمها في خضم هذه الأحداث المتشابكة.

انفتح الباب بحركة مفاجئة، وجاءها صوت اليكس حاداً غاضباً:

- ماذا تفعلين في السرير حتى الآن ايتها العنيدة؟

مسحت صوفي عينيها الدامعتين ونهضت لتواجهه، فتابع يقول دون ان يرفع نظره عنها:

- الغداء سيكون جاهزاً بعد قليل. اولاً سنستمع الى بعض الموسيقى.

لحقته صوفي بصمت الى غرفة جلوس صممت على الطراز المغربي حيث الأعمدة الرخامية والسجاد الحريري الاصلي والنحاسيات الأثرية الثمينة. قال اليكس وهو يغرق في المقعد الاحمر:

- لماذا لا تختارين الموسيقى بنفسك؟

ومرة اخرى تذعن صوفي دون تردد، فاختارت مقطوعة اسبانية هي عبارة عن عزف منفرد على الغيتار، ثم جلست الى جواره في

مواجهة الشرفة المفتوحة. قال دون ان يلتفت اليها:

- سنذهب في يوم من الأيام في رحلة صيد سمك. وعندما نبتعد داخل البحر نعثر على السمك الطائر... انه منظر فولكلوري في هذه الجزيرة.

ردت بصوت دافىء:

- اني احب هذه الفكرة.

- ويمكننا ان نذهب للسهر ذات ليلة. فجزيرة كريت تضم مجموعة من الفنادق الممتازة التي تكون عادة مزدحمة في مثل هذا الموسم.

هزت صوفي رأسها موافقة وعيناها تسرحان في الافق. لقد مضى على وجودها مع اليكس اسبوعان كاملان. وكان الوقت يقصر او يطول حسب الانفعالات المتبادلة. وقد ادركت ان هذين الأسبوعين هما اطول اسبوعين مرا عليها في حياتها.

ارتفعت وتيرة العزف في المقطوعة الاسبانية، فأحست صوفي بنبضات قلبها تزداد سرعة واضطراباً دون ان تدري لذلك سبباً. ويبدو ان المشاعر نفسها كانت تعتمل في نفس اليكس الذي قال بصوت اجش:

- امي عمدت الى شحن كل هدايا عرسنا الى نيويورك، مع انني كنت افضل ابقاءها هنا ريثما نختار مكان اقامتنا... فلربما لم تناسبك شقتي في نيويورك.

ردت صوفي بهدوء:

- لا مانع عندي في السكن في اي مكان.

تجاهل ردها وتابع يقول:

- لا داعي للعجلة في الاختيار. يمكنك ان تبحثي في اوقات فراغك. هناك شخصان يديران الشقة في نيويورك، ويمكن الابقاء عليهما اذا اعجباك. انهما يونانيان ولديهما ابن يعمل في مؤسستنا وهو على وشك الزواج الآن.

وواصل اليكس حديثه عن شؤون البيت والعائلة والعمل في محاولة لاعادة جو الهدوء الى نفسها المحطمة. في حين اكتفت صوفي بالاصغاء هازة رأسها بالايجاب بين الحين والآخر. قال لها في ختام حديثه:

- قد ترغب اختك في زيارتك، ربما خلال عطلتها الجامعية المقبلة. بل من الممكن ان نحتفل عائلياً بالاعياد والمناسبات بحيث يتعرف اهلك اكثر الى عائلتي في كريت

قطع حديثهما رئيس الخدم بالاعلان عن ان مائدة الغداء قد جهزت. اخبرها اليكس ان هذا الرجل هو زوج السيدة التي تشرف على ترتيب البيت، كما ان جميع افراد عائلته يسكنون في بيت ملحق بالفيللا. واضاف اليكس ضاحكاً:

- عندما نخلو البيت منا، يصبح المكان كله مرتعاً لهم. انهم كرماء فعلاً لانهم يسمحون لنا بالحضور بين الحين والآخر!

كان الغداء شهياً، وتمنت صوفي لو ان قابليتها للطعام مفتوحة اكثر لتتذوق الاصناف اللذيذة التي اعدها جورج وايفا السعيدان بفرحة سيد البيت اليكس. ومع ذلك اجبرت نفسها على تناول عدة اصناف دون ان تغيب عنها ملاحظة نظرات اليكس المتفحصة. بعد الغداء، تناولا القهوة في غرفة الجلوس، وظلا هناك الى ان حل الليل المعتم واطلت النجوم المتلألئة في السماء الصافية.

انصرف الخدم الى بيتهم، وخلت الفيللا الا منهما. جلست صوفي هادئة دون ان تجرؤ على النظر الى اليكس الذي وضع موسيقى صاخبة واسترخى في مقعده بكسل. فكرت صوفي ان هذه الموسيقى تعكس حقيقة المشاعر التي تعتمل في نفس اليكس رغم مظهر الهدوء الذي يدعيه الآن. لكن هل يتصرف معها كما فعل قبل الظهر؟ من المستحيل ان تتحمل المزيد من هذه التصرفات القاسية.

اما اليكس فقد اشعل سيجاراً ضخماً، وجلس ينفخ حلقات الدخان في سماء الغرفة، وهو يهز قدميه على انغام الموسيقى المنفعلة.

راقبته صوفي بتوتر، ثم تظاهرت بالتثاؤب قائلة بلطف:

- انني متعبة، فأنا ما زلت اعاني من آثار تلك الرحلة.

ضحك اليكس ساخراً، ثم اتجه ناحيتها واخذ يديه بيديها قائلاً بحنان:

- هيا الى غرفة النوم يا صوفي.

وسارت صوفي معه وسط مشاعر متضاربة بين القبول والرفض، ولكنها وجدت بعد ساعات معه، ان هذا الرجل القاسي استطاع بشكل من الأشكال ان يغزو قلبها وعقلها وجسمها كما لم يفعل اي رجل من قبل.

قال اليكس بعد مدة:

- انني جائع (ثم اضاف وهو يبتعد الى الخارج) سأراك بعد قليل.

ادركت صوفي انها تشعر بشيء مختلف تماماً تجاه اليكس. لقد استطاع خلال الأيام القليلة الماضية ان يحول حقدها الى شعور لا تعرف طبيعته. نهضت متكاسلة واسرعت الى الحمام تنعش رأسها المنهك بالافكار تحت شلال المياه الباردة المتدفقة من الدوش.

وهكذا مضت ايام شهر العسل الباقية. وحيدان في الفيللا مع الشمس والبحر والموسيقى... والشعور الغريب الجديد بينهما. كان اليكس يتصرف وكأنه رجل اخر. والغريب انهما ما كانا يتبادلان الأحاديث الا لماماً، بل خيم الصمت على حياتهما في الفيللا الخالية باستثناء ساعات قليلة من النهار حين كان الخدم يتمون الخدمات اللازمة. ومع الأيام لم تعد صوفي تحس بأي شيء غير عاطفة اليكس الساحرة التي كانت تحيط بها من كل النواحي.

ذهبا ذات صباح الى مسافة طويلة داخل البحر في رحلة الصيد التي وعدها بها من قبل. وقد كان فرح صوفي لا يوصف وهي تشاهد الاسماك الطائرة حول الزبد الأبيض المتخلف عن حركة الزورق البخاري الضخم في الماء. هتف اليكس بنشوة:

- انه منظر رائع، أليس كذلك؟

ردت بصوت مثير:
- بل هو مدهش فعلاً!
وفي احدى المرات صارع اليكس سمكة كبيرة علقت في صنارته، لكنها افلتت وسط ضحكة صاخبة من صوفي. تظاهر اليكس بالغضب وطارد عروسه على سطح اليخت بينما البحارة يبتسمون بلطف ومحبة. وعندما امسكها صاح بها ساخراً:
- ايتها الملعونة، المفروض ان تكوني معي وليس ضدي.
همست بدلال:
- انا رهينة امرك يا سيدي.
رد بنشوة الانتصار:
- اجل، هذا افضل.
تحولت بشرة اليكس وصوفي الى اللون البرونزي الغامق بفعل اشعة الشمس الحارقة ومياه البحر الدافئة في تلك الأيام الجميلة. وشعرت صوفي بانطلاق وارتياح لم تعهدهما من قبل، الى جانب سعادة حقيقية في ربوع كريت الساحرة... مع زوجها اليكس.
ذات ليلة كانا يسهران في احد الفنادق الفخمة في الجزيرة. بعد العشاء رقصا على وقع الموسيقى الهادئة في جو حالم معتم. كانت صوفي تلمح في عيني اليكس نظرات وله وهو يحدق فيها بامعان وتأمل. لكنها انتفضت فجأة والغيرة تنهش صدرها، عندما لاحظت نظرة الاعجاب على وجهه ناحية امرأة مثيرة الجمال كانت تعبر بها في تلك اللحظة. احس اليكس بانتفاضتها المفاجئة، فهتف بقلق حقيقي:
- ماذا هناك؟ ماذا بك؟ هل تشعرين بشيء؟
ردت بصوت مضطرب:
- لا شيء، مجرد صداع. هل تمانع في العودة الى البيت؟
اجاب اليكس بلهفة وهو يساعدها على النهوض:
- طبعاً لا. لماذا لم تخبريني بالأمر من قبل؟ ان لونك شاحب جداً

وكأنك مريضة فعلاً.
جلست صوفي في عتمة السيارة العائدة بها الى الفيللا تفكر بالغيرة القاتلة التي احستها بالفندق. هذه اول مرة تشعر فيها بمثل هذه الطعنة المؤلمة. لقد سيطر عليها بالتدريج بطريقة لم تكن تفهمها او تستطيع ايقافها. وشيئاً فشيئاً حلت صورته القوية القاسية محل صورة سيمون الباهتة بفعل الخوف من جبروته وقوته... لكن المرحلة الثانية كانت امتلاك عقلها وقلبها. كم كانت حمقاء لاعتقادها بأن اليكس قد اشبع انتقامه منها بالسيطرة الكاملة عليها. لقد اهانت رجولته بشكل مباشر، وهو اقسم ان يمتلك كل شيء فيها حسب تعبيره، اي انه يريد كل شيء اعطته لسيمون ذات يوم.
انها تدرك بألم حقيقي الآن ان اليكس حقق اهدافه كاملة. لقد طعنتها الغيرة عندما رأته يوجه نظرة اعجاب عابرة الى امرأة اخرى. لكن كيف حصل ذلك ومتى؟ صوفي لا تملك الجواب، بل هي لم تكن تريد الاعتراف بأنها كانت تجد اليكس جذاباً. اما الآن، وفي عتمة السيارة الصامتة، فليس هناك من مجال للانكار. وماذا عن سيمون؟ ان ذكريات سنوات الحب الخمس تخيم على ذهنها كالسحاب. كانت تعيش على امل نظرة او كلمة منه... غير ان ذلك لم يكن يكفي ابداً.
ظلت لمدة طويلة تعتقد بأن حبها لسيمون ما زال حياً كشعلة نار صغيرة، او كالجمر تحت الرماد. كل ذلك وهم، فاليكس اخترق هذه الاسطورة بعد ان اخترق حواجز الشمع حول قلبها وعقلها. ذلك الحب مات بعد ان تجاوبت صوفي مع اليكس في عواطفه المتأججة. لقد استطاع اليكس بالتهديد والقوة ان يدخل الى حياتها، ومع الأيام صارت تجد صعوبة حتى في تذكر ملامح حبيبها الغائب!
نظرت بطرف عينيها الى وجه اليكس الأسود، وقالت بصوت داخلي: انني احبه. لكنها تعهدت لنفسها بأن لا تكشف حقيقة مشاعرها امامه ابداً. يجب ان تخفي عنه حبها مهما كان الثمن.

فالبكس اراد انتصاراً ساحقاً عليها، وهي لا ترغب في اعطائه متعة لمس ذلك الانتصار علناً.

اوصلها اليكس الى غرفة النوم، ثم احضر لها دواء وكوباً من الماء وهو يقول:

- هيا الى النوم يا عزيزتي، واتمنى ان لا تكون الشمس قد اصابتك بأشعتها هذا الصباح. هل انت متأكدة انك تعانين من الصداع فقط؟

ردت بابتسامة ضعيفة:

- نعم، وجع في الرأس فقط.

مسح وجهها المتعب براحة كفه وقال بحنان:

- تبدين متعبة يا حبيبتي. تصبحين على خير يا صوفي!

استلقت صوفي في الظلمة الحالكة وهي تشعر بعمق المأساة التي وجدت نفسها فيها. اليكس ليس من النوع الذي يحفظ الحب، وحياته السابقة تؤكد ذلك. فهو يستعمل عقله الثاقب للسيطرة على مشاعر النساء. لم تفكر من قبل بمدى قدرة اليكس على الاخلاص لها، اما الآن فقد افزعتها هذه الحقيقة... انها لا تستطيع احتمال تصور اليكس مع امرأة اخرى!

حدقت صوفي بسقف غرفة النوم، فوجدته اسود حالكاً مثل مستقبلها تماماً!

١٠ - اليد باليد!

وجدت صوفي مدينة نيويورك موحشة ومخيفة. ومما زاد في صعوبة التأقلم مع هذه المدينة الصاخبة، الأشهر العديدة التي عاشتها في احضان جزيرة كريت المنعزلة عن العالم. لقد اخافتها اصوات السيارات وضوضاء الشوارع التي لا تنام. وباتت تحس ان هناك اناساً يعملون طيلة النهار والليل، يحضرون ويصرخون ويناقشون... ويجعلون الجو جحيماً لا يطاق.

خاطبها اليكس بجفاف عندما استدارت نحوه محولة نظرها عن الشوارع الصاخبة:

- انها العودة الى الحياة الحقيقية.

تساءلت في سرها عما قصده بهذه العبارة، خاصة وان نظرته حملت العديد من المعاني الغامضة. لقد انتهى شهر العسل، فهل يحدث التحول في عواطفه تجاهها، ويهملها كما لو انها مجرد نزوة عابرة مرت في حياته؟

واصل اليكس حديثه:

- يمكنك البدء في البحث عن مكان آخر اذا كنت لا تحبين هذا المكان!

هزت كتفيها بلا مبالاة:

- انني مرتاحة في هذا المكان، انت تحب هذه الشقة اليس كذلك؟

حدق فيها باستغراب وقال بقسوة:

- هل تقصدين انك غير مهتمة في المكان الذي نسكن فيه؟

اعترضت صوفي بهدوء:

- انا لا اعرف نيويورك ابداً. الا ترى انه من الحكمة الانتظار قليلاً ريثما اتعرف على المدينة بشكل افضل؟

- لقد اعتقدت انك تريدين مكاناً خارج المدينة، يكون قريباً من المكتب الى حد ما وفي الوقت نفسه يكون بعيداً كي تنعمي بالهدوء فيه. وهناك العديد من الضواحي المجاورة التي يمكننا شراء بيت فيها!

ردت بلا مبالاة قائلة:

- اي شيء تريده مقبول لدي.

صرخ فيها بغضب مكتوم:

- لا تكوني مطيعة الى هذه الدرجة، ثم لا تنظري الي بتلك الطريقة الغريبة.

سألته وقد احمر وجهها انفعالاً:

- وكيف تريدني ان انظر اليك؟

استدار اليكس ناحية النافذة متجاهلاً سؤالها وقال:

- ابلغتني امي انها آتية لزيارتنا في الاسبوع المقبل.

علقت صوفي مبتهجة:

- هذا خبر رائع. انني مشتاقة لرؤيتها.

نظر اليها من فوق كتفيه وقال باختصار:

- طبعاً.

لقد اكتشفت صوفي منذ وصولها الى نيويورك ان اليكس يعطي عمله اكثر مما كانت تتصور من قبل: كان يستيقظ باكراً، ويذهب الى مكتبه حتى قبل ان تستيقظ زوجته. وكثيراً ما كان يتأخر في الامسيات، وفي بعض الأحيان يتناول طعام العشاء في الخارج ولا يعود الا بعد منتصف الليل. وتعمدت صوفي ان تخفي غيرتها وألمها خلف قناع اللامبالاة، غير انه كان يؤكد لها دائماً ان سهراته خارج

البيت انما تكون مع رجال اعمال او مديري الشركة او زبائن اجانب. والمشكلة بالنسبة الى صوفي انها كانت عاجزة عن اثبات العكس، وجل همها هو ان تخفي عنه خوفها العميق من ان يكون قد عاد الى حياته المستهترة السابقة.

في الوقت نفسه تعلمت كيف تلعب دور امرأة المجتمع المطلوب منها بالحاح. فقد اقامت حفلات عشاء ساهرة لأصحابه وزبائنه، واعدت لهم الاطعمة الشهية، واستقبلتهم بوجه بشوش واحاديث شيقة لبقة. وتعلمت ايضاً كيف تصغي باهتمام الى احاديث رجال الأعمال دون ان تضطر هي الى مجاراتهم في موضوعاتهم. اذ اكتشفت بعد ايام من وصولها الى نيويورك ان الرجل الذي يتحدث وتستمع اليه امرأة جميلة بابتسامة مشرقة لهو رجل مرتاح جداً في سهرته. ولم يكن اليكس يستغرب عبارات الاعجاب والاطراء من اصدقائه وزملائه في العمل في ما يختص بزوجته. كانوا يقولون:

- ان زوجتك يا اليكس لطيفة بقدر ما هي جميلة. وهي تجيد فنون الحديث والاصغاء.

كان القناع الذي اختفت خلفه يكفي لخداع اصدقائه. فهو قناع هادىء، مبتسم، متوازن. . . غير انه لم يكن خافياً على اليكس ذي النظرات الثاقبة.

في بداية شهر كانون الأول (ديسمبر) اصيبت صوفي بزكام شديد اقعدها الفراش في ذلك الشتاء القارص، حين اكتست نيويورك بغطاء جليدي ناصع البياض لعدة ايام متتالية. وقد اصر اليكس على احضار الطبيب للتأكد من ان ما تعانيه بسيط ولا يثير القلق. وامرها الطبيب بالتزام الفراش لعدة ايام مع اتقاء البرد وتقلبات الطقس بالاضافة الى بعض العقاقير الخفيفة عند الحاجة. وادى المرض الى عرقلة خطط مرافقتها لأليكس في رحلة عمل الى استراليا كان من المقرر ان يقوم بها في غضون ايام. وبعد رحيل الطبيب، عاد اليكس الى غرفة النوم وجلس على حافة السرير. . . ثم خاطبها وهو يمسح

يده على شعرها قائلاً:

ـ الزمي الفراش لحين عودتي. لن اغيب اكثر من اربعة ايام، واعود اليك على جناح السرعة!

وعندما اقترب منها ليعانقها، اشاحت وجهها قائلة:

ـ اخشى ان اعديك بالزكام.

حدق فيها مطولاً ثم اخذ كفها بين يديه وقال بحنان:

ـ فكري بي خلال غيابي.

ثم غادر الغرفة بسرعة، في حين ظلت صوفي تغالب دموع الفراق الصعبة. كم كانت تتمنى ان تصدق ان اليكس يهتم بها فعلاً! لقد ضاعت بين سخريته المرة وقسوته التي لا ترحم من جهة، وبين عاطفته الرقيقة التي تظهر بين الحين والآخر. ولكنها لم تجرؤ على الاعتقاد بأن اليكس يحمل لها عاطفة اخرى غير الرغبة فقط. . . لأن اعتقادها ذاك سيترك آثاراً مدمرة في حياتها.

التزمت صوفي بتعليمات الطبيب، واشرفت على العناية بها مديرة البيت السمراء ريّا التي اعدت لها وجبات شهية وحرصت على اعطائها الادوية في مواعيدها المحددة. وكثيراً ما كانت صوفي تصر على ريا ان تجلس معها في غرفة النوم لتحدثها عن ضيعتها الصغيرة في اليونان والحياة الريفية فيها، بالرغم من احتجاج المديرة وهي تقول:

ـ يجب ان انجز اعمالي يا سيدتي، ولا ضرورة لاشغالك بأحاديثي العادية.

وتضحك صوفي وهي ترد بلطف:

ـ ابقي معي، وحدثيني عن ايام الفصح عندكم مرة اخرى!

وكانت ريّا تتحدث بسعادة مشوبة بالحزن عن ضيعتها النائية. وسألتها صوفي مرة عما اذا كانت ستشعر بالسعادة اكثر لو انها ظلت هناك، فأجابتها قائلة:

ـ كان زوجي فقيراً جداً هناك. . . اما هنا فنحن اغنياء.

ادركت صوفي ان ريا سعيدة بالفخامة التي تحيط بها، والطعام الذي تحصل عليه، والتسهيلات الموجودة في نيويورك. . . وهي لن تتخلى عن كل ذلك من اجل ضيعتها الريفية رغم حنينها الى حياة البساطة والطبيعة. وفكرت صوفي ان لكل امرىء احلامه. ونادراً ما تتحقق الأحلام، وحتى عندما تتحقق فاننا نجد احلاماً اخرى لتحل مكان ما سبقها. . . اذ لا معنى للحياة دون حلم مستمر.

كانت تنتظر عودة اليكس بلهفة. لكن آمالها خابت عندما اتصل بها ليقول انه لن يعود حسب الموعد المقرر. قال لها بصراحة:

ـ انا آسف، يجب ان ابقى في استراليا لمدة يومين على الأقل.

ردت بصوت تعمدته هادئاً ليخفي حنينها اليه:

ـ لا بأس بذلك.

ـ هل تحسنت حالتك الصحية؟

ـ طبعاً، وقد كانت ريّا ترعاني طول الوقت.

وعندما انتهت المكالمة، استلقت صوفي بتعب وهي تتساءل عما اذا كان العمل هو السبب الفعلي لتأخره في استراليا، او ربما قابل امرأة ما؟ واحست فجأة بطعنة قاسية في صدرها. ومع انه من المستحيل عليها نفي او تأكيد مثل هذه التساؤلات، الا ان افكارها جعلت حياتها جحيماً لا يطاق.

استيقظت صوفي في اليوم التالي وهي تشعر بتحسن طفيف، لكنها لم تغامر بالخروج في ذلك الجو البارد، فقضت معظم النهار الى جانب المدفأة الكهربائية التي اشعلتها لها ريا على الرغم من التدفئة المركزية في كل البيت، وذلك حرصاً على عدم حصول اية انتكاسة. وعند المساء بدأت في قراءة قصة بوليسية شيقة على انغام الموسيقى الهادئة. وفجأة رن جرس الهاتف، فردت عليه ريّا التي خاطبتها قائلة:

ـ انها السيدة والدتك.

رفعت صوفي السماعة وهتفت بلهفة:

ـ مرحباً يا امي.

ردت عليها الأم بصوت مضطرب:

ـ صوفي، لقد اصيب والدك بنوبة قلبية!

شحب لون صوفي وهي تصرخ:

ـ لا، مستحيل. كيف؟ ماذا حصل له؟ واين هو الآن؟

اجابتها الأم والعبرات تخنقها:

ـ لم تكن نوبة قوية. كم كنت خائفة يا صوفي. اصيب بالنوبة هذا الصباح بعد ان استيقظ من النوم. في البدء لم افهم ما الذي يحصل مع ان منظره كان مرعباً. في المستشفى ابلغوني انها نوبة قلبية خفيفة ولا خطر عليه... اه يا صوفي لقد كانت صدمة كبيرة.

حدثتها صوفي برقة مهدئة اياها، ومؤكدة لها انها ستحضر على جناح السرعة. تنهدت الوالدة بارتياح وقالت:

ـ هل ستأتين فعلاً؟ ساكون شاكرة لك لو استطعت. ان باتسي في الكلية وانا اشعر بالوحدة والخوف. الا يمانع اليكس في مجيئك؟

ردت صوفي قائلة:

ـ انه موجود في استراليا الآن، وسأترك له رسالة تشرح له الوضع.

بعد الانتهاء من المكالمة، استدعت صوفي ريتا وشرحت لها ما حصل، وابلغتها انها عائدة الى لندن فور الحصول على مقعد في اول طائرة مغادرة. وطلبت من ريتا ان تعد لها حقيبة السفر، بينما تتولى هي مهمة الحجز على احدى الطائرات المغادرة. ولحسن حظها وجدت طائرة مسافرة بعد ساعات قليلة، فعمدت الى كتابة رسالة مختصرة لاليكس، ثم استقلت سيارة تاكسي متوجهة الى المطار الذي لا يبعد كثيراً عن البيت.

شعرت صوفي بانقباض شديد وخوف من ان لا تقلع الطائرة بسبب العواصف والغيوم المتلبدة، ولم ترق لها فكرة انتظار ساعات من الترقب في المطار الواسع بينما العواصف تزوبع في الخارج. ولكن الطائرة اقلعت متأخرة ساعة واحدة فقط عن الموعد المقرر، ومتفادية

موجة من الثلوج بدأت بالانهمار فور اتخاذ الطائرة لمسارها الجوي نحو لندن.

كانت لندن ادفأ قليلاً من نيويورك، والشمس تحاول جاهدة التسلل من بين السحب الرمادية الشاحبة. وعندما انتهت من دائرة الجوازات والجمارك استقلت سيارة تاكسي وتوجهت بها الى كنت. لم تكن صوفي تشعر بالنعاس بعد هذه الرحلة، لأنها نامت بعض الوقت في الطائرة. وهكذا قبعت في المقعد الخلفي تتأمل سهول الريف الداكنة الغافية وسط الضباب الصباحي الكثيف.

احتضنتها امها والدموع تترقرق في عينيها:

ـ شكراً على حضورك يا عزيزتي. لقد جاءت باتسي ايضاً. انكما فتاتان رائعتان!

علقت باتسي متسائلة بابتسامة ساخرة:

ـ ألسنا رائعتين فعلاً؟ اننا فتاتان ممتازتان!

ضحكت الأم وهي تمسح دموعها باحدى يديها:

ـ لسانك سليط يا باتسي. قصدت ان وجودكما معي هنا سيساعدني في هذه المحنة.

علقت باتسي بمرح:

ـ دعينا من هذه الأمور، وهيا اعدي لنا القهوة (ثم تناولت معطف صوفي وقالت) هذا ما اسميه معطفاً بالفعل. لا شك ان اليكس يدللك كثيراً (سألتها وهي تدس يديها في كمي المعطف) هل يمكن ان اجربه؟

قالت صوفي بهدوء:

ـ تفضلي... وجربيه!

ضاع جسم باتسي الصغير في طيات المعطف الرائع، فخاطبت شقيقتها بلهجة ساخرة:

ـ انني صغيرة على هذا المعطف. دعينا نراه عليك... هيا استعرضيه لنا.

اطاعت صوفي طلب شقيقتها بصمت، وارتدت المعطف امام نظرات الاعجاب من الأم والأبنة الصغيرة. وقد ادركت ان باتسي تتعمد المرح كي تشعر والدتها بأن كل شيء على ما يرام.

حدثتها الأم عن تحسن اوضاع ابيها في المستشفى، وقالت:

- لقد كان محظوظاً. والاطباء يصرون عليه بوجوب الاخلاد الى الراحة (ثم اضافت بعد لحظات من الصمت) كانت هذه النوبة بمثابة التحذير الأولي.

حولت باتسي مجرى الحديث قائلة:

- انت لا تدرين كم انت محظوظة يا صوفي... معطف من الفرو بالاضافة الى اليكس طبعاً!

ضحكت صوفي ورمت المعطف بلا مبالاة على الكرسي، فخطفته باتسي وراحت تمرر يديها عليه بنعومة. سألت امها قائلة:

- متى يمكنني رؤيته؟ وهل رأيته انت؟

اجابت الأم بهدوء وهي تسكب القهوة:

- تركوني معه لمدة خمس دقائق فقط. وهو لا يستطيع استقبال اي زائر الآن (ثم سألت بعد لحظات) متى سيعود اليكس من استراليا؟

قالت صوفي:

- لست متأكدة، ربما في الغد او بعده. الأمر يعتمد على انجاز اعماله هناك. ولقد استغرقته الرحلة اكثر مما كان متوقعاً.

سألتها باتسي وهي ترتشف الشاي:

- وكيف وجدت نيويورك؟

وجهت صوفي الدعوة بابتسامة عريضة:

- لماذا لا تحضرين وترين بنفسك. لقد فكر اليكس ان تلتقي العائلة كلها في مناسبة الميلاد (ثم اضافت بحزن) هذا اذا تمكن والدي من السفر!

تنهدت الأم بألم وقالت:

- اشك في ذلك يا صوفي، في كل حال الموضوع ما زال

مبكراً الآن.

عادت الوالدة من المستشفى في اليوم التالي وهي اكثر ارتياحاً وتفاؤلاً. قالت لابنتيها المتلهفتين:

- لقد قضيت معه ربع ساعة تقريباً. فهم اخرجوه من خيمة الأوكسجين، وبات باستطاعته الكلام قليلاً. ومع ان لونه ما زال شاحباً، الا ان حالته في تحسن مستمر.

رفعت هذه الانباء المشجعة من معنويات الجميع، واصرت صوفي على دعوة والدتها الى العشاء في احد الفنادق الفخمة المجاورة. وطيلة السهرة، عمدت صوفي الى الترويح عن الأم بالحديث عن نيويورك وشهر العسل والهدايا التي قدمها لها اليكس. قاطعتها باتسي مرة قائلة:

- توقفي عن اثارة غيرتنا. معطف من الفرو وعقد من الزمرد، بينما اضطر انا الى ضرب اخماس بأسداس اذا ما قررت شراء بنطلون من الجينز.

ضحكت صوفي من اعماقها وقالت:

- عندما تحضرين لزيارتي في نيويورك، فسأبحث لك عن مليونير وسيم.

علقت باتسي ساخرة:

- شرط ان يكون اصلع وفي الستين من العمر على الأقل... ثم يموت في شهر العسل لأصبح ارملة ذات ثروة طائلة!

وبختها امها ضاحكة:

- ما هذا الحديث يا باتسي!

مضت السهرة على هذا المنوال، هادئة ومسلية. وعندما اوت صوفي الى فراشها راحت تتساءل عما اذا كان اليكس قد عاد الى نيويورك واطلع على رسالتها العاجلة. لقد حاولت الاتصال به تكراراً، لكن لم تجد احداً. كما وانه لم يتصل بها مع انها كانت تتوقع منه اتصالاً خاصاً. ترى ماذا يفعل في استراليا؟ هل هو منشغل بامرأة

اخرى انسته ضرورة الاتصال بها؟ اشعرتها هذه الاسئلة الحيرى بالغضب واللهفة والاكتئاب، فهرب ملاك النوم من عينيها وباتت تتقلب على فراش الشك والغيرة.

استيقظت صوفي في اليوم التالي وهي تشعر بالصداع الحاد بعد ليلة مليئة بالكوابيس المزعجة. تركتها امها وباتسي في البيت وذهبتا للتسوق استعداداً لزيارة الاب في المستشفى. فوجدت صوفي الفرصة سانحة للقيام بنزهة في الحدائق المجاورة، لعل الهواء المنعش يخفف عن صدرها المشاعر الخانقة الجياشة.

هذه الحدائق هي ملعب طفولتها، وقد شهدت نمو احلامها المراهقة ونشوء اول حب في حياتها. ووسط شريط الذكريات المتتابع، ابتعدت صوفي كثيراً كي تتجنب رؤية احد من اهلها واقاربها وهي في مثل هذه الحالة. وبينما هي غارقة في تأمل الطبيعة الساحرة والحيوانات السارحة في الحقول باطمئنان ودعة، سمعت خشخشة اوراق الشجر تحت اقدام انسان ما، فقفزت على الفور خلف شجرة مجاورة بعد ان تبينت ملامح الشخص الآتي بالاتجاه الذي كانت تسير فيه.

اسكنت حركاتها وتنفسها كي لا يلحظ سيمون وجودها عندما وصل الى محاذاتها. لكنه رفع عينيه نحوها وكأنه احس بها هناك. وما ان وقعت نظراته عليها حتى شعرت بالغثيان وعضت على شفتها ندماً لوقوعها في هذا الموقف الحرج.

حدق سيمون فيها لعدة دقائق قبل ان يقول بلهجة هادئة:

ـ مرحباً. لقد سمعت بمجيئك الى البيت، فكيف حالة ابيك الآن؟

استندت الى جذع الشجرة باحدى يديها وردت بوتيرة عادية:

ـ ان حالته تتحسن باستمرار... شكراً على اهتمامك.

صمت الاثنان للحظات وهما يتأملان بعضهما البعض. لقد لاحظت صوفي ان سيمون تغير كثيراً، خاصة في نظراته الحزينة

العميقة وملامح وجهه المتعب... اذ يبدو عليه الهم والضيق والألم.

رد بعد فترة:

ـ الحمدلله على ذلك (ثم قال وهو يرفع عينيه الى السماء) الطقس مزعج جداً هذا اليوم؟

ردت وهي تشعر بالقرف من هذه المحادثة التافهة:

ـ انها تثلج في نيويورك الآن.

ـ حقاً؟ يبدو ان شتاء نيويورك مثلج دائماً، اما انا فلم اذهب الى تلك المدينة الا في الصيف.

ردت بجفاء:

ـ فعلت عين الصواب.

لقد احست صوفي بصدق ان سيمون غريب عنها تماماً، وانها نزعته من افكارها ومشاعرها الى الابد. كل تلك العواطف، كل تلك الحاجة التي شعرت بها تجاهه يوماً ما... قد ذهبت الى غير رجعة. وبات من المؤكد ان الحب الذي كان غرق في فراغ السنين.

سأله بلطف:

ـ وكيف حال لوسي؟

توهج وجهه وهو يرد:

ـ انها بخير والحمدلله. وضعها في المدرسة جيد. والادارة تقول انها قادرة على النجاح، ومستواها سيتحسن باستمرار.

قالت صوفي بابتسامة واسعة:

ـ هذه اخبار مشجعة فعلاً.

كان سيمون يعيش حباً من نوع آخر تماماً، انه حب لوسي التي اوجدت له اسباباً للتحمل والصبر. كان يهتم بابنته اكثر من اي شيء آخر، ولأجلها قبل ان تكون حياته العاطفية صحراء مجدبة... ولم تذهب تضحيته هباء، لأن لوسي ردت اهتمامه بالاقبال على الحياة بعد تلك السنوات الصماء!

قال بهدوء:
- ايلين موجودة في جزر الكناري هذه الأيام، لقد قررت تمضية الشتاء بحثاً عن الشمس لأنها تكره برد لندن.

لم تعلق صوفي على عبارته الاخيرة، واكتفت بالنظر الى الارض بينما قدمها تحرك بعض اوراق الاشجار الصفراء التي بعثرها الخريف فوق العشب. وفجأة احست بحركة مجاورة لها، فرفعت رأسها لتجده على مقربة منها... وقد احتقنت عيناه بمشاعر مكبوتة. قالت له برجاء:

- ارجو ان لا تقدم على اي عمل طائش!

لكنه ضمها الى ذراعيه رغم مقاومتها وهو يقول:

- صوفي كيف استطعت الاقدام على تلك الفعلة؟

وعلى الرغم من عناقه الحاد، الا انها تملصت من بين ذراعيه واسرعت تعدو باتجاه البيت والدموع تملأ عينيها وتنهمر على وجنتيها.

لم تكن لتشعر بالغضب منه، فهو يعيش في عالم خال من العطف والحنان. لقد حاول ان يضمها الى عالمه لأنه كان محتاجا الى ذلك الحلم البعيد الصعب المنال، الى ذلك النجم الساطع في افقه المظلم. هذا الحلم المستحيل جعل حياته محتملة. لكنه لم يسأل نفسه مرة عما حل بها من جراء ذلك. لقد قضت خمس سنوات وهي بأمس الحاجة اليه. وتبين لها فيما بعد انها ضيعت عمرها هباء. فحب سيمون لم يكن الحب الحقيقي. وصوفي امرأة من لحم ودم وعواطف، وهي تريد من يهتم بها بهذه الصفة، وليس بكونها حلماً فقط. ولعل هذا هو سبب نجاح اليكس في تحطيم جدرانها البلورية وسحبها الى دنياه، جاعلاً اياها تعطيه العاطفة المتدفقة التي لم تكن قادرة على اعطائها لسيمون.

وصلت الى البيت لتجد امها وباتسي تجهزان طعام الغداء. قالت اختها وعيناها تشعان فرحاً واثارة:

- اليكس هنا، انه في الطابق العلوي.

خفق قلب صوفي بشدة، واسرعت ملهوفة الى غرفة النوم. كان اليكس قرب النافذة مديراً ظهره ناحية الباب، وعلى الطاولة المجاورة علبة مجوهرات بيضاوية الشكل. لكن صوفي لم تواصل اندفاعها لأنها حدست في حركة جسمه شيئا مخيفاً.

قالت بصوت متهدج متسائلة:

- اليكس، ماذا هناك؟

قال دون ان يستدير اليها:

- هل استمتعت بنزهتك؟ (ثم صمت للحظات قبل ان يزمجر ويتقدم اليها) ايتها الملعونة، كم مرة قابلته منذ مجيئك الى هنا؟

اذن لقد شاهدها مع سيمون، وتابع تفاصيل اللقاء بين اشجار البلوط. ترى ماذا اعتقد اليكس عندما حاول سيمون ان يضمها بين ذراعيه؟ سألته بضعف:

- هل رأيت ما حدث؟

صاح بغضب:

- طبعاً رأيت كل شيء.

ردت صوفي بعصبية:

- كان لقاؤنا عابراً. كنت احس بالصداع، فأردت استنشاق الهواء النقي لبعض الوقت. وبالصدفة التقيته.

ابتسم بسخرية وهو يقول:

- مصادفة؟ هل هي المصادفة نفسها التي قابلته بها على الشرفة تلك الليلة؟ (ثم تقدم نحوها وهو يهدد باصبعه) غداً نذهب الى نيويورك، ومن الآن فصاعداً لن تتحركي الى اي مكان الا اذا كنت برفقتك!

ظلت صوفي صامتة اتقاء لغضبه المكبوت، اما هو فقد وضع يده على وجهها وحدق فيها مطولاً ثم قال:

- اذا رأيتك معه مرة اخرى فسوف اقتلك.

نظرت صوفي اليه ومشاعر الأمل واليأس تتضارب في نفسها. وقالت في محاولة لتخفيف الجو المتوتر:

- هل صندوق المجوهرات هذا... لي؟
ضحك متهكماً:
- لمن اذن؟ جئت من استراليا الى لندن كالغبي المسلوب الارادة كي اراك... فاذا بي اراك بين ذراعي رجل اخر!
بللت صوفي شفتيها المرتجفتين بطرف لسانها وقالت:
- الن تقدمها لي؟
واجهها اليكس بابتسامة باردة قاسية وقال:
- هيا خذيها بنفسك.
احتقنت ملامحها بالغضب لتلك اللهجة العدائية، وظلت جامدة في مكانها. وكأنه احس بالجرح الذي سببه لها، لذلك حل العلبة ودسها بين يديها بعنف وقرف. وعندما شاهدت بريق الماس فيها هتفت غير مصدقة:
- آه يا اليكس، ما هذا؟ انها رائعة.
ضحك بهستيرية قاسية:
- اريد ثمناً اكثر من هذه العبارات.
واحست صوفي بما يعتمل في فكره، فهمست بصوت مخنوق:
- لا... لا تفعل اي شيء الآن!
رد عليها بصوت عميق:
- انت بحاجة الى مزيد من الدروس. غبت عنك اسبوعاً واحداً فقط، وبعد هذه المدة اجدك مع رجل اخر؟
طفرت الدموع من عينيها وهي تقول بصوت متهدج:
- ارجو يا اليكس الا تغضب. لم اكن اريد حتى ان اراه. انا...
قاطعها بغضب:
- لا تكذبي علي، ولا تقدمي اية اعذار. لقد رأيتكما معاً تحت شجرة البلوط، تماماً كما رأيتكما من قبل في الشرفة (واضاف ساخراً) هل تعتقدين اني سأنسى ذلك؟ هل تعتقدين اني استطيع طرد المشهد من مخيلتي؟ كل مرة اضمك فيها بين ذراعي، اتذكر

المشهد... واحس برغبة في قتلك.
اتسعت حدقتا صوفي التي فوجئت بعمق احاسيس الغيرة في نفس اليكس، مما اشعرها ببصيص من الأمل. ردت بلهفة:
- لقد انتهى حب سيمون في قلبي منذ اشهر. قبل قليل لم اكن اريد رؤيته، وعندما حاول احتضاني بالقوة ابعدته عني وهربت الى البيت، لأنني لم اعد مقتنعة بالبقاء معه ولو لثانية واحدة.
باتت صوفي تفضل الاعتراف بمشاعرها الحقيقية على الاستمرار في هذا الواقع الجحيمي، حتى لو اكتشف اليكس عمق سيطرته على قلبها وعقلها. كان عليها ان تقنعه بصدقها لأنها لم تعد تحتمل نظراته الباردة المليئة بالعداوة والاحتقار. لقد فضلت ان يضحك ساخراً من انتصاره النهائي عليها، بدلاً من ان يعبر عن كراهيته لها بهذه الطريقة المؤلمة. لكن اليكس لم يضحك، بل اقترب منها ووجهه الشاحب يعكس استغرابه الشديد:
- هل تقولين الحقيقة فعلاً؟
وضعت صوفي رأسها على كتفه بحنان، واكتفت بهزة خفيفة رداً على سؤاله.
وأخذ اليكس يتحسس شعر رأسها وملامح وجهها وكأنه لا يصدق عينيه. وقال بلهفة:
- آه يا عزيزتي... انني احبك بجنون يا صوفي!
ومنحتها موجات السعادة الدافقة من اظهار حقيقة ما يعتمل في صدرها في تلك اللحظات، فلجأت الى لمسات يدها تنقل له ما عجز عنه لسانها. قال وهو يضمها بقوة:
- عليك ان تتعلمي ان تحبيني يا صوفي، فأنا بحاجة اليك ولا استطيع العيش بدونك!
- انني احبك جداً.
ابعدها عنه قليلاً وقال متسائلاً:
- صوفي؟

همست وهي تعود الى صدره:

- اجل يا اليكس... انني احبك.

في هذه اللحظات جاء صوت باتسي من الطابق السفلي ليقول:

- الغداء جاهز، هيا الى المائدة!

ابتعد اليكس عن صوفي ورد بصوت عال:

- اننا قادمان (ثم التفت الى صوفي وقال ضاحكاً) انها المرة الأولى في حياتي التي لا اشعر فيها بالحاجة الى الطعام.

علقت بابتسامة ساخرة:

- يجب ان ننزل لنشاركها الغداء.

تنهد اليكس مكرهاً وقال:

- اعتقد ذلك. قولي لي، كم مضى على معرفتك بأنك تحبينني؟

ردت وهي تبعد وجهها عنه:

- منذ شهر العسل.

اتسعت عيناه دهشة واستغراباً:

- كل هذه المدة؟ لماذا لم تخبريني؟ لماذا اخفيت الحقيقة عني طيلة هذه المدة؟

اجابته بصوت هادىء:

- لم ارغب في الاعتراف بالهزيمة. شخصياً كنت اعتقد انك لا تحبني، فأنت لم تقل لي ذلك ابداً.

قال بجفاء:

- لم اعترف بحقيقة مشاعري عندما اكتشفت انك غارقة في حب رجل اخر.

علقت متضاحكة:

- لقد اطلقت تهديدات مرعبة عما ستفعله بي عندما نتزوج!

احتقن وجهه بحمرة التوتر وقال:

- كان علي ان اجبرك على الزواج مني. لقد كنت جاداً في تلك التهديدات... اذ ان الغيرة تملكتني الى حد الجنون انذاك.

وسألته باستغراب:

- وهل احببتني منذ البداية؟

اجابها ضاحكاً:

- اظن انني احببتك منذ البداية. لم اكن افهم طبيعة ما يجري في داخلي... وعندما استمريت في صدي صممت على نسيانك... لكنني فشلت. وفي ذلك الصباح بلندن، وعندما وصفتني بالمحتال وخرجت باكية، ادركت الحقيقة المجردة. وكنت ارغب بالركض وراءك طالباً الصفح والمغفرة منك. جئت الى بيتكم كي ابدأ معك من جديد، وانا مصمم على الزواج منك. والحقيقة انني اخبرت والدتي قبل ان آتي، فباركت خطوتي وايدتها.

احست صوفي بالسعادة الطاغية تجتاح نفسها، فسألته وكأنها تريد الاطمئنان اكثر:

- هل فعلت ذلك حقاً؟

رد بابتسامة حب وشغف:

- انت تعلمين انها تحبك كثيراً، وكانت فرحتها لا توصف عندما اخبرتها برغبتي في الزواج منك (تجهم وجهه وهو يقول متذكراً المشهد على الشرفة) ثم رأيتك معه، فتحطم عالمي وكأنه قصر من الرمال. ولأول مرة ادرك معنى الألم والغيرة. ومع ذلك وقفت صامتاً اراقبكما، وقد احرق السيجار اصابعي دون ان اشعر حتى بالوجع.

وضعت رأسها على كتفه العريض وقالت:

- آه يا حبيبي اليكس... انني آسفة جداً.

- عندما قلت امامها انني ارغب في الزواج منك، فانما فعلت ذلك للانتقام من ايلين الخبيثة والرد على ملاحظاتها القذرة. ولما انفردت بنفسي، ادركت انني ما زلت احبك واريدك. لقد جازفت بالزواج من امرأة تحب رجلاً اخر. ومع ذلك بنيت خططي على اساس استعدادك للتجاوب معي كما حصل في لندن وفي السيارة خارج البيت بعد السهرة المشؤومة.

همست ضاحكة وقد ادهشتها عباراته:
- انه شيء يبعث على السعادة فعلاً.
- لقد كنت اخدع نفسي. عرفت تمام المعرفة ان تلك العلاقة لم تكن كافية. كنت ارغب في البوح لك بما يعتمل في صدري، وكنا اضطر الى كبته واخفائه. وفي بعض الأوقات كنت اصل الى حافة الجنون لعدم مقدرتي على القول بصوت عال: اني احبك!
قالت صوفي وهي ترتجف:
- الشعور نفسه كان ينتابني... اني احبك يا اليكس.
سألها وعيناه تحدقان في عينيها الغائمتين بالسعادة:
- وماذا عنه؟
اجابت بصوت هادىء:
- لا شيء... لقد تساءلت عما سأشعر به اذا ما رأيته مجدداً؟ وعندما رأيته كنا مجرد غريبين يلتقيان صدفة. فقط شعرت بالحزن. مسكين سيمون، لقد جعلني احس بالذنب... وهذا كل شيء.
تنهد اليكس بارتياح وقال:
- افزعتني اللحظة التي ستلتقيان فيها. لما اتصلت بنيويورك من مدني وعرفت انك هنا، كدت اجن. ادركت انك ستريه، واردت ان اكون هنا عندما يتم اللقاء لكي ابعدكما عن بعضكما البعض. وطيلة الرحلة كان العرق البارد يتصبب مني. وفور وصولي اخبرتني امك انك في الحديقة فأسرعت الى الطابق العلوي لمشاهدة ما يجري. ولما حاول ضمك اليه، كدت اذهب واحضر المسدس لقتلكما معاً.
قالت صوفي بدلال:
- محاولته لم تعن لي شيئاً. ان لمسة من يدك تعني لي اكثر من كل امر آخر في العالم.
ومرة اخرى جاءهما صوت باتسي الساخر ليقول:
- ماذا تفعلان فوق؟ الطعام بدأ يبرد. هيا الى الأكل وبعد ذلك تنصرفان الى غرامياتكما.

ضحكت صوفي بفرح:
- عليها اللعنة هذه الفتاة الشقية.
حل اليكس العقد الماسي ووضعه حول عنق صوفي، ثم تراجع الى الخلف قائلاً:
- هذا العقد سيدير رأس باتسي حتماً.
... ونزلا الى الطابق الأرضي يداً بيد.